مجلـــة البحـــوث
والدراســـات الأثـــريـــة
العدد السابع عشر (سبتمبر 2025)

Journal of Archaeological Research and Studies
Vol. 17 (September 2025)

# الظواهر الاجتماعية في إفريقية الأغلبية والفاطمية (التسول انموذجاً)
# 184-362هـ / 800-973م

**د/ سميرة سالم مسعود السعيدي**
**أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - جامعة أم القري ، مكه**
ssmsaidi@uqu.edu.sa

**الملخص:**

يتناول هذا البحث ظاهرة التسول في إفريقية خلال العصرين الأغلبي والفاطمي (184-362هـ / 800-973م)، وهي ظاهرة اجتماعية لم تحظ بالدراسة الكافية في التاريخ الإسلامي رغم حضورها المشهود في المجتمع الإفريقي آنذاك. يعزو البحث هذا الإهمال إلى التهميش الشديد الذي تعرضت له شريحة السؤال من قبل المؤرخين والمصادر التاريخية، والنظرة القدحية المسبقة التي وُصمت بها هذه الفئة اجتماعياً وأخلاقياً من قبل النخبة المثقفة والسلطة الحاكمة. يستعرض البحث العوامل المتعددة التي ساهمت في انتشار ظاهرة التسول وتفاقمها، بما في ذلك الأزمات الاقتصادية الحادة والكوارث الطبيعية المدمرة والاضطرابات السياسية المستمرة والتحولات الاجتماعية العميقة التي شهدتها المنطقة خلال تلك الحقبة التاريخية المضطربة. كما يحلل البحث أنواع التسول المختلفة ودوافعه المتنوعة، والأساليب والطرق التي اتبعها المتسولون في ممارسة نشاطهم اليومي، وردود أفعال المجتمع المتباينة تجاههم، بما في ذلك مواقف الفقهاء المتشددة والسلطة الحاكمة المتذبذبة والنخبة الاجتماعية المحتقرة لهم. ويكشف البحث أيضاً عن الأماكن المعتادة لممارسة التسول والألفاظ والعبارات المستخدمة في الاستعطاف والشفقة.

**الكلمات الدالة:**

التسول – إفريقية – الأغالبة – الفاطميون – التاريخ الاجتماعي – الفقر – التهميش الإجتماعي

**Abstract:**

This research examines one of the social phenomena in Ifriqiya during the Aghlabid and Fatimid periods (184-362 AH / 800-973 CE), namely the phenomenon of begging. The research concludes that this is a social phenomenon that has not received adequate study in Islamic history despite its notable presence in Ifriqiyan society at that time. The study attributes this neglect to the severe marginalization that the begging class experienced from historians and historical sources, and the preconceived pejorative view with which this group was socially and morally stigmatized by the educated elite and ruling authorities. The research reviews the multiple factors that contributed to the spread and exacerbation of the begging phenomenon, including severe economic crises, devastating natural disasters, continuous political turmoil, and profound social transformations that the region witnessed during that turbulent historical period. The research also analyzes the different types of begging and their various motives, the methods and approaches employed by beggars in their daily practice, and society's varying reactions toward them, including the strict positions of jurists, the fluctuating stance of ruling authorities, and the contemptuous attitude of the social elite toward them. The research also reveals the customary places for practicing begging and the words and expressions used in soliciting sympathy and evoking pity, providing a comprehensive and accurate glimpse into the life of this marginalized segment and their living conditions

**Keywords:**

Begging , Ifriqiya , Aghlabids ,Fatimids , Social History , Poverty, Social Marginalization.

**Print ISSN: 2535-2377**

**Online ISSN: 2535-1400**

لم تحظ ظاهرة التسول[1] (الكدية) في التاريخ الاسلامي بما يليق بها من دراسات تاريخية تسعى إلى رصدها ، رغم حضورها المشهود في مجتمعات دار الاسلام خلال عصوره الوسطى- ومنها مجتمع إفريقية عصري الأغالبة والفاطميين نتيجة ارتباطها بشريحة اجتماعية شديدة التهميش، ويُقصد بها شريحة السؤال، التي اندرجت ضمن الشرائح المستضعفة والمنسية من سقط العوام أو العامة الرثة، ممن نعتتهم المصادر بـ" الزمنى والعطل وأهل البطالة والفراغ"[2] ، والذين يدخل تاريخهم في عداد التاريخ "المقموع" أو "المسكوت عنه" و"اللامفكر فيه" . حيث لم تتعرض شريحة من شرائح المجتمع للطمس والإهمال والتهميش والإعراض من قبل المصادر التاريخية خاصة – بقدر ما تعرضت له تلك الشريحة. ولا حاجة إلى كبير عناء لمحاولة التفسير، فقد تضافرت وراء هذا التهميش — ربما المتعمد أحياناً- عوامل عدة، يأتي في مقدمتها تلك النظرة القدحية المسبقة التي طالت الفقراء عامة وأهل البطالة والسؤال خاصة من قبل فئات المجتمع[3]، والتي زاد من تعميقها ذلك الموقع المتدني لتلك الشريحة في قاع الهرم الاجتماعي وقلة نصيبها من العلم والمعرفة و تصرفاتها العفوية، الأمر الذي جعلها تعيش على هامش المجتمع وفي سفح الكيان الاجتماعي، أو بالأحرى "خارج التاريخ"، فصارت بذلك شديدة الإفلات من كل محاولة لرصد تحركاتها على المسار الاجتماعي. يضاف إلى ما سبق غياب هذه الشريحة عن نمط الإنتاج السائد في المجتمع، واعتبارها في الوقت ذاته- عبئا ثقيلاً على كاهل السلطة الحاكمة[4]، في وقت فشلت فيه تلك السلطة في التخفيف من غلواء الفقر، وعجزت عن استيعاب الشرائح الخاملة والعاطلة، وإدماجها داخل الكيان الاجتماعي. ساهم في هذا التهميش كذلك اعتبار التسول ذاته من قبل الكتاب لا سيما الرسميين منهم- ظاهرة مشينة[5] تشوه صورة المجتمع و تسيء إلى سمعة الدولة المؤرخ لها[6] وتكشف بالتالي عن مدى الانهيار الاقتصادي والتردي الاجتماعي الذي كانت تعانيه، مما يجعله دليل إدانة للحكام وشاهداً على غفلتهم عن مصالح العباد.

عليه، لم يدخر المؤرخون القدامى جهداً في التكتم عن ذكر أخبار تلك الشريحة، فضربوا عنها الذكر صفحاً، وأسدلوا عليها ستاراً من الصمت والتهميش، فلم يتعرضوا لذكرها إلا لماما[7]وبشكل غامض وفي فترات متقطعة وبين ثنايا السطور وبمعلومات هزيلة وأخبار شحيحة ومبعثرة وبطريقة عفوية.

**كنى المتسولين:**

لم يتردد بعض مؤرخي الفترة وغيرهم من أهل القلم- عن جام غضبهم على أهل تلك الشريحة، فراحت كتاباتهم تحمل على السؤال وأهل الكدية بلا هوادة، ولم يتورع بعضهم عن سبهم والتغليظ لهم، فكالوا لهم أصناف الشتائم الذميمة ونعتوهم بمصطلحات تعكس موقفاً فكرياً محدداً وأحكاماً جاهزة ومسبقة لتوصيف أفعالهم وتصوير مواقفهم المتدنية، امعانا في تشويه صورتهم والنظر إليهم كشريحة هامشية منبوذة اجتماعياً وأخلاقياً[8]. وهكذا وصف السؤال من قبل هؤلاء الكتاب بانهم : "السفل"[9] "الأشقياء"[10] ، "الحمقى .. المحتالين الملحدين[11]، "الظالمين الفاسقين"[12]،، دنيئي الهمم"[13] من "أكذب الناس"[14] و"منتجعى المال[15]"، لأنهم تكاسلوا عن الرزق فلم يطلبوه إلا بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة والاحتيال"[16] و"الدهاء والمكر[17] و"الفواحش"[18] والـ"قبح .. وإفراط

"الإلحاف"[19] وكشف قناع الوقاحة[20] فكانوا بذلك يأكلون "أموال الناس بالمسكنة والصدقة"[21] و "المسألة واحتمال المذلة[22]" و"التنفق والكدية"[23]، و"الشطارة والحرفة"[24] و"السحت بضروب الكدية والشحذ"[25]

يبدو أن نظرة الاحتقار والرؤية القدحية هذه والتي طالت السؤال وشوهت صورتهم داخل المجتمع _كان لها أثرها السلبي حتى على المسار الفقهي ، حيث لم يتردد بعض فقهاء الفترة _خاصة المالكية.عن اتهام السؤال بقلة الايمان[26]، واتخذوا من ذلك سنداً شرعياً لإسقاط شهادتهم وعدم الأخذ بها حتى وان كانوا عدولا صادقين[27] . وأعطوا الزوجة الحق في أن تطلق من زوجها إن تزوجها دون أن يخبرها "انه من السؤال"[28] واعتبروا ذلك تدليساً، استناداً . منهم إلى النظرة الدونية القدحية لتلك الشريحة. بل لم يتردد,آخرون في إدراج مال السؤال ضمن المال الحرام حين حرموا مشاركة "الدلالين والشحاذين"[29]

وإذا ما كان لأهل القلم اكبر الأثر في تغييب تاريخ شريحة السؤال، إلا انه لا يمكن إعفاء أهل الشريحة أنفسهم من الدور ذاته ، فقد كان للسؤال وأهل الكدية المغاربة دور لا يمكن إغفاله في تهميش تاريخهم حين اعرضوا عن تسجيل حياتهم ورصد تاريخهم، فلم يخلفوا مثل متسولة المشرق[30] – أثرا يمكن من خلال مطالعته دراسة أحولهم وكشف أخبارهم وتكوين صورة واضحة عنهم، فيما يمكن تسميته بـ " الصمت التاريخي" أو غياب صوت الشرائح المغربية الرثة عموما.

بالمثل، أعرض الدارسون المحدثون[31] عن دراسة تاريخ هذه الشريحة في بلاد المغرب على نحو عام وافريقية على نحو خاص، خشية المجازفة في توجيه البحث نحو دائرة محاطة بقدر كبير من المخاطر، وعلى رأسها شح المصادر و ندرة النصوص، فضلا عن الطبيعة البنيوية للموضوع.

أما عن الدافع وراء اختيار افريقية[32] منطقة للدراسة خلال الفترة المذكورة، فيكمن في تعرضها آنئذ –أشد من غيرها من البلاد المغربية – لتحولات عدة وعلى مستويات مختلفة[33] ساهمت في إفراز شريحة السؤال وبلورة ظاهرة التسول حسبما سيتضح لاحقا.

يُعرف التسول لغةً بأنه التكفف والاستجداء، فالسائل هو من يتكفف الناس إحساناً فيمد كفه يسألهم الكفاف من الرزق والعون[34] . غير أن علماء الاجتماع كانوا أكثر عمقاً في تعريفه، نتيجة الاحتكاك المباشر بالسؤال ومعاينة الظاهرة عن كثب، فراحوا يعرفون التسول بأنه: كل نمط من أنماط السلوك الذي يمارسه شخص ما أو جماعة ما بقصد تحقيق عائد مادى من الآخرين سواء اقترن ذلك السلوك بالسؤال المباشر لهم أو بإظهار العاهات البدنية أو ارتداء الملابس الرثة واصطحاب الأطفال بقصد استدرار عطف الآخرين[35]. وإذا ما وصف هذا التعريف بالحداثة والمعاصرة إلا أن النصوص التي تم الاعتماد عليها قد تفسح المجال لإسقاطه على الحقبة مدار الدراسة كما سيتبين.

**أسباب ظاهرة التسول في مجتمع إفريقية:**

يعد من الطبيعي الربط بين ظاهرة التسول في المجتمع الافريقى شان غيره من المجتمعات– وبين تفشى البطالة وزيادة منسوب الفقر والفاقة والتشرد نتيجة المتغيرات ذات الأبعاد الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والعسكرية التي شهدتها البلاد خلال فترة البحث[36] ، مضافاً إليها الوازع الديني نحو الإحسان التماساً للأجر ورغبة في الثواب من جهة، وميوعة الموقف الرسمى تجاه التسول – والذى أغرى طائفة الناس لاتخاذ التسول وسيلة للتكسب وجمع المال – من جهة أخرى. فضلاً عن بُعدٍ آخر لا يقل عما سبق أهميةً، يتمثل في اختيار التسول وسيلة تربوية عند بعض المتصوفة، وهو ما يدعو إلى التمييز بين نوعين من التسول احدهما اضطراري حركته دوافع الفقر والحاجة وقلة ذات اليد ، والآخر اختياري كان من ورائه الرغبة في تهذيب النفوس للتدرج في أسلاك المتصوفة والزاهدين والذى مثل إذلال النفس بالتسول أول مراحله عند المريد. فهل يمكن رصد تلك الأبعاد داخل افريقية – مكان الدراسة– خلال فترة الدراسة؟ تقدم المصنفات التاريخية وكتب التراجم والطبقات والجغرافيا والرحالة وغيرها من أصناف التأليف– بالاعتماد أحياناً علي أوثق المصادر المعاصرة والتي باتت في حكم المفقود – فيضاً من المعلومات عما يند عن الحصر بخصوص تعدد مظاهر المآسي الاجتماعية والأزمات الغذائية التي شهدتها افريقية طوال عصرى الأغالبة والفاطميين، بسبب تضافر عوامل ظرفية وهيكلية طبيعية و بشرية، إذ تتوالى الإشارات عن تتابع الكوارث الطبيعية مثل القحط و الجفاف[37] والبرد[38] والعواصف[39] والفيضانات والسيول[40] والصواعق والحرائق[41] والمجاعات[42] والأوبئة والطواعين[43] والزلازل[44] وأسراب الجراد[45]، في الوقت الذي تعاظمت فيه الاضطرابات والقلاقل السياسية، والمواجهات العسكرية[46] التي صاحبها استفحال المغارم والجبايات[47] ، وتعرض وسائل الإنتاج للتخريب وإتلاف المحاصيل، ونهب الأموال وضرب الحصار على التجمعات السكنية[48] ، وانتشار اللصوصية[49] واحتكار التجار والموسرين للغذاء[50]، وازدياد البذخ والترف لدى بعض الأمراء والمتنفذين وجنوحهم نحو المتعة والدعة ، وانغماسهم في حضارة استهلاكية[51] تسببت في كثرة النفقات وإفراغ بيت المال[52] ، فارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ[53] وتجدرت الأزمة الاجتماعية، وأوجدت ضعية متأرجحة أدت إلى انحدار أعداد متزايدة من العوام منتجين وغير ب"الفقراء منتجين إلى الدرك الأسفل من الهرم الاجتماعي والانغماس في غمار ما اصطلح على تسميتهم ب"الفقراء المحاويج[54]" المنكوبين والمرهوقين[55]" "أهل البطالة والفراغ[56] " و " الخصاصة والمسكنة[57]" و "الستر والصون[58] من "الفقراء[59] والمساكين المكدين[60] " و " الضعفاء[61] " و "أهل الحاجة[62]" والفاقة[63] و"أصحاب الصدقات[64] الجياع العاطلين عن العمل الذين طحنهم الفقر وأعجزتهم البطالة[65] .وهو ما ينسحب أيضاً على بعض متوسطى الحال من التجار وأهل القلم الذين لم يسلموا من مخاطر التدحرج إلى أسلاكها[66] ، مما يكشف عن تعدد الروافد التى ساهمت في زيادة أعداد هذه الشريحة واتساع قاعدتها. فلا غرو إذن أن تصف مصادر الفترة أهل افريقية خلال العصر الأغلبي بان " أكثرهم في حال الفقر والمسكنة[67]، وهو ما ينطبق على العصر الفاطمي أيضاً، حيث تسببت الأزمة الاقتصادية في تزايد أعداد" المساكين لشدة الغلاء[68]". كما كانت مواطن توزيع الصلات والاعطيات والصدقات تغص بالأعداد الغفيرة من الضعفاء والفقراء والمحاويج، ممن أضطر بعضهم إلى دفع حياته ثمناً للحصول على ما يسد الرمق من شدة التزاحم [69]

بات الخوف من الفقر وذل السؤال هاجساً يقض مضاجع الناس خلال تلك الفترة[70] حتى صارت تلك الوضعية الحرجة مثار انتباه الحكماء والمصلحين وأولى النهى ، والذين تعالت أصواتهم منبهةً إلى خطورة تزايد أعداد الفقراء نتيجة سوء إدارة الحكام، ومحذرةً من مغبة ما صار إليه الناس من ضيق الحال[71]. وبشكل ايجابي راحوا يرسمون السبل ويعددون الوسائل في سبيل المواجهة ، والتي كان من أهمها الحث المشهود على الصدقة والتشديد على دورها في حماية المجتمع[72]، وكتابة المؤلفات التي تؤز الناس ازاً نحو التكافل من اجل التخفيف من حدة الفقر، والمساهمة في تكريس مجتمع يقوم على التراحم والتعاطف[73] . في حين سيطر اليأس وتسلط الإحباط على نفوس ثلة أخرى أيقن أصحابها أن محاولة السعى نحو الإصلاح والتخفيف من غلواء الفقر درب من المحال ، فأصابهم ذلك غماً بغم وامتلكهم القنوط وتفطرت قلوبهم حزناً وهم يعاينون كثرة الضحايا من الفقراء والمعوزين[74] . ولا أدل على تأكيد تلك الوضعية المتردية من تصوير الفقيه احمد بن نصر – الذي عاصر الفقيه القصرى (ت322هـ /943(7)م)– عيش الناس وقتئذ في " افريقية بمنزلة الميتة يأكل منها المضطر حاجته[75] "، لانعدام مقومات الحياة الضرورية لسد جوعة وستر عورة[76]. وهو ما أكدته رواية ابن عذارى[77] التي كشفت عن هيكلية.الفقر بأفريقية خلال تلك الفترة وربطتها بتحولاتها الاقتصادية المصحوبة بكوارث طبيعية كانت شديدة الأثر السلبى على الناحية الاجتماعية، حيث " انكشف فيها الستور وهلك الفقير وذهب مال الغنى وغلت الأسعار وعدمت الأقوات وجلي أهل البادية إلى أوطانهم وخلت المنازل.. وقيل أن أهل البادية أكل بعضهم بعضا".

انطلاقاً من نص ابن عذارى الآنف، واستنادا إلى ما عداه من النصوص، يمكن القول بان البوادي كانت اشد بقاع إفريقية تضرراً نتيجة تلك الظرفيات الحرجة والمشاكل المعقدة، واختلال توازن الثروات بصفة حادة، التي انعكست سلباً على أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية، وأسفرت عن انتشار ظاهرة الخصاصة والفاقة على نطاق واسع[78]، وتسببت في اضطرار عدد غير قليل من المفلسين والفقراء و المحاويج والمحرومين والمعوذين والجأتهم إلى الانتجاع والتشرد والفرار من مواطن المجاعة والقحط إلى بلد الحياة بحثاً عن الطعام[79] . وعليه، فقد توالت إشارات المصادر[80] تفصح عن نزوح هذه العناصر في سنين الشدة والمسغبة من قرى ومداشر وبوادى افريقية نحو المدن الكبرى مثل القيروان وسوسة وصفاقس وتونس وباجة وسطفورة وقابس وغيرها، مما اسفر عن تضخم أعداد البطالين ممن لا يجيدون حرف أهل المدن[81]، وزادت معاناتهم في هذه المدن بسبب الإجراءات الاحترازية التي اتخذها سكانها وبمباركة الفقهاء– للمحافظة على مخزوناتهم من المؤن وعدم التفريط فيها إلى غيرهم، بل انسحبت تلك الإجراءات حتى إلى الزكاة التى حجر فقهاء افريقية دائرة توزيعها على أهل المدن دون النازحين إليها من البوادي ولو كانوا من الفقراء والمساكين والضعفاء[82] بات منطقياً إذن – وفي ظل انسداد الآفاق وتصاعد مخاطر المجاعة وكلب الحرمان والفاقة– أن تتعدد الطرائق وتتنوع السبل التي سلكها أهل هذه الشريحة لمدافعة الجوع والتشبث بالحياة حسبما كشفت عن ذلك مصادر الفترة كان من بينها اكل السنانير والكلاب[83] والجراد[84] وجلود الحيوانات والدرق[85] والميتة[86])، ومنافسة الطيور والزواحف والحيوانات في أقواتها وأرزاقها[87]، والقطف من البراري والأحراش[88]، ولقط ما يتركه الحصادون في المزارع[89]، والانتشار في المزابل لتقليب أكوام القمامة القذرة والبحث فيها عن فضلات طعامٍ

قد تخفف من وطأة الجوع ومرقعات ثيابِ تستر عورات الجسد[90].بل وصل بهم الأمر أحيانا إلى بيع الأنفس والزوجات والأبناء والإخوة والدخول إلى ربقة العبودية[91] ومن ثم يعدو بديهياً القول باتخاذ التسول وسيلة من اجل العيش وتحصيل الرزق من قبل هؤلاء البؤساء[92]، فقد كان من المتعارف عليه وقتئذ أن "الضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال[93]، وان الجوائح والنكبات تضطر أصحابها إلى "الكدية وسؤال الناس[94] ، وهو ما تكشف عنه مجموعة من الإشارات المصدرية، فقد سئل أبو الحسن القابسي (ت 403 هـ / 1013 ) عن امر صار مالوفا عند سكان افريقية خلال تلك الفترة، تتمثل في مشاهدة الجموع من الفقراء يقطعون الشوارع والازقة وقت المجاعات والشدائد وفيهم " الرجل المريض والمرأة المريضة والصبي من هؤلاء الضعفاء وهو يصيح من الجوع[95]. وقل أن وجد في فقراء افريقية خلال القرن الرابع الهجرى من كان "متعففاً في فقره[96]" لا يسال"[97] ، حتى صار أولئك المتعففون عن المسالة رغم شدة الاحتياج مثار دهشة وتعجب من قبل معاصريهم. فقد أبدى أبو عبدالله الخراط إعجابه المشهود بمحمد بن عمرو بن خيرون(ت305هـ/ 961 م) الذى اعرض عن مسالة الناس تعففا ونزاهة وقد أحاط به الفقر نتيجة فادحة كبيرة أتت على جميع ماله [98]، وهو ينسحب على أبى اسحاق الجنبياني (ت 369هـ / 979م) الذي امتدح المعاصرون تعففه وصيانة وجهه عن السؤال رغم فقره الشديد وشدة احتياجه[99] . ولا شك أن المكانة الاجتماعية والأدبية الرفيعة التي احتلها هذان الفقيهان كانت وراء تنزههما وأمثالهما من فقراء الفقهاء و العلماء عن المسألة ، سواء كان المانع حياءً أم تعففاً [100] ، وهو ما افتقده غيرهم من الفقراء والمعوزين والذين لم يتحرجوا عن كشف وجوههم للسؤال. ويبدو أن ذلك الأمر قد دعى فقيهاً مثل ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/996م) [101] "ان ينصح القائمين على الزكاة بان يتحروا الاجتهاد في إعطائها "المستور والمتعفف ومن لا يسال"، مما يدفع إلى الظن بأن أعداد الذين كانوا يسالون الناس كانت غير قليلة، لا سيما إذا أخذ في الاعتبار أن الفقيه القيروانى ربط فتواه تلك بكثرة أموال الزكاة المحصلة وهو أمر نادر الحدوث ، ولا ادل عليه من حث الفقهاء الناس على دفع الزكاة والتشديد على خطورة التهرب منها والتأكيد على معاقبة مانعيها حتى صار ذلك أمرا مألوفاً في ذلك الزمان [102] . ويمكن الاستئناس هنا بتلك النازلة التي سئل فيها أبو الحسن اللخمي(ت478هـ/ 1085 م) رجل له قريبة " فقيرة لا تقدر على التسول والتصرف هل يخصها بماله قدر من زكاته؟ [103]"، من العجيب ان تتقدم لفظة"التسول"الواردة بالنص على لفظة "التصرف" والتي تعنى السعى لتحصيل الرزق بطرقه المشروعة شرعا وعرفا، فهل يشي ذلك بان ممارسة التسول كانت المخرج المعهود أمام الفقراء لمواجهة كلب الحرمان باعتباره اسهل الطرق لتحصيل المال دون تعب او نصب، وهل يمكن ادراج تلك الفقيرة ضمن الحالات الاستثنائية حين رُزقت بقريب لها قد يمد لها يد العون بزكاة ماله في الوقت الذي حُرم فيه أمثالها من هذا المورد الذي احتال أرباب السلطة والمتنفذون في الاستيلاء عليه وعلى ما كان على شاكلته من أموال الصدقات والأحباس[104] وربما بمباركة من فقهاء السلطة[105]؟. لا سيما اذا ما أُخذ في الحسبان ما اكدت عليه المصادر من اشارات تؤكد صحة ذلك، فقد ضجت شكوى الناس خلال تلك الفترة تنتقد تقصير الحكام في واجبهم تجاه بيت المال وصرف ماله على مستحقيه، وإنفاقه في الملذات والشهوات[106] ، حتى انه ندر فيهم من "ثبتت حسن سيرته وصرفه للأشياء في مصارفها[107]". ولم

يتورع بعضهم عن أكل أموال الناس والحصون"[108] . و"اليتامى والمساكين ظلما وعدوانا[109] ، حتى صار الناس في تلك الآونة كـ"الأيتام في حجور من تغلب على مملكتهم ... قد حازوا جميع أموالهم وغلبوا على سلطانهم[110]" ، وهو ما لم يسلم منه حتى بعض الفقهاء[111] واعيان الناس، وتتجلى هنا رواية غاية في الدلالة عند ابن عذارى[112] تتحدث عن الأمير الاغلبي إبراهيم بن احمد الذي اظهر التوبة حين علم باستفحال خطر أبي عبدالله الشيعي فسارع الى رد أموال الصدقات إلى مستحقيها حيث أعطاها إلى " فقهاء القيروان ووجوه أهلها .. ليفرقوها في الضعفاء والمساكين فاستؤكلت وأعطيت من لا يستحقها وأنفقت في اللذات وصرفت في الشهوات، مما دفع بعض الناس الى التحرز والاحتياط عبر توليهم توزيع ما يخصهم من الزكاة بأنفسهم على من يعرفونهم من الفقراء والمساكين ، وتحاشوا عن دفعها إلى سعاة السلطة خشية عدم وصولها إلى مستحقيها وانفاقها في غير مصارفها[113] .

**فقهاء إفريقيا وظاهرة التسول:**

يبدو أن شيوع تلك الظاهرة قد لفت انتباه بعض فقهاء افريقية الذين أدركوا دور السلطة في تعميق تلك الأزمة الاجتماعية، فضلا عن عجزها في تخفيف غلوائها، فلم يترددوا عن إصدار بعض الفتاوى والفتاوى الاستثنائية التي تسعى إلى مواجهة طغيان الفقر والحد من التسول كان من أهمها القول بجواز إطعام السؤال الطعام أيام المسغبة واحتساب ذلك من الزكاة[114]، والقول بجواز إخراج زكاة الفطر قبل دخول شهر رمضان وتقديم زكاة المال والسوائم قبل ان يحول عليها الحول، واخراج الكفارات قبل الحنث في اليمين[115]، وتحريم الانتفاع بالركاز واعتباره كاللقطة ووجوب توزيعه على الفقراء والمساكين[116] ، والفتوى بعدم جواز الرجوع في الحبس على الفقراء والمساكينوان تؤخذ من صاحبها قسراً[117] . وفي الإطار ذاته أفتى عبد الوهاب بن رستم[118] أهل جبل نفوسة بالا تزيد حصة الفقير في زكاة الفطر عن صاع لكثرة فقراء الجبل. في حين عالج الفقيه القيرواني عبدالله بن حمود (ت357هـ / 967م) المسالة من منظور معاكس حين ألح في فتواه بخصوص الحانث في يمينه أن يزيد في الكفارة المعروفة في الإطعام عن المد المعروف ثلثا أو نصفا أخرى لتكفي حاجة الفقراء الذين ازدادوا كثرة[119] . ولم يتردد فقيه افريقية يحي بن عمر (ت 289هـ/901 م) – وقد عاين تفشى الفقر في زمانه– أن يفتى بتحريم احتكار الطعام حتى ولو لم يكن فيه ضرر على الناس، وان يباع على محتكريه ويفرق على الفقراء والمساكين أدباً لهم[120] . وأجاز ابن أبي زيد القيرواني[121] أن يُعطى الرجل القوى البدن من الزكاة ولا يُحرم منها إن كان فقيرا لانسداد آفاق الرزق أمامه، وحرم الأكل من طعام مانعى الزكاة ومستغرقى الذمة واستثنى من ذلك الفقراء والمساكين[122] . وحين سئل ابو الحسن القابسي عن رجل ورث أموالاً وأراد أن يتنزه عنها ببناء بعض الحصون أفتى بتفريقها على الفقراء والمساكين مستندا إلى انه "الأهم في الوقت الفقراء فهو الواقف في الواجب [123]، وهو ما نجد له نظيرا في فتوى ابن أبي زيد التي لم تجز بناء المساجد من أموال الزكاة وإن كثرت واعتبر أنها لا تجزيء عن إطعامها الفقراء والمساكين لكثرتهم[124]. وأفتى الفقيه الداودي(ت 402هـ/ 1011م) [125] غصاب الأموال وجامعى أموال الربا والمتربحين من أموال الودائع دون إذن أصحابها، بتوزيعها على أهل الحاجة من الفقراء حال توبتهم بدلاً من الاجتهاد في البحث عن أربابها مخالفاً بذلك آراء أئمة المذهب.

وإذا ما جاز ان تُوصف تلك الفتاوى بأنها ايجابية لاستهدافها التخفيف من غلواء الفقر وسعيها نحو تحقيق التكافل الاجتماعي بين الأثرياء والفقراء، فهل يمكن التكهن بأنها كانت في الوقت ذاته تحمل بين طياتها اثراً سلبياً حين أفسحت المجال لانتشار التسول، حين أوجدت عند مجموع الناس نوعاً من الاندفاع لتقديم الصدقات لأى سائل دون مراعاة الدقة الاختيار؟

فضلا عن الفتاوى السابقة والتي قد تأخذ الشكل غير المباشر لترسيخ تلك الرؤية تزخر كتب الفقه والنوازل بفيض من الفتاوى المباشرة ،والتي تحض الناس على ضرورة تقديم الصدقة إلى المساكين الذين يسالون الناس دون مراعاة أحوالهم،فيكفي أنهم سالوا ولهذا وجب العطاء. فقد سئل الفقيه الاباضى عبد الوهاب بن رستم[126] عن رجل اعتاد أن يسال الناس الصدقة وهو من أهل الولاية، فأجاب بان "من ظهر منه المسكنة فهو فقير فله من الحقوق ما للفقراء حتى يعلم خلاف ما يقول"، ونقل فتوى فقهاء المذهب التي أجازت السؤال لمن لم يتوفر في بيته قوت سنة كاملة. واستنادا إلى أقوال مالك وأعلام مذهبه عرف محمد بن سحنون[127] الفقير بأنه الذى" وقف للتكفف عند الناس لشدة حاجته "وفاقته" محدداً معيار فاقته هنا بالعجز عن النفقة على أفراد أسرته وان كان لديه من الأموال أربعون دينارا ذهبا أو أكثر ولا تقوم له بمقام". ولم يشترط الفقيه يحي بن عمر[128] لمن يُعطى الزكاة أن يتصف بـ"التعفف عن السؤال". وأجاز ابن أبي زيد القيرواني لمن كان بيده صنعة يتعيش منها وتشغله عن تعليم القران أو تعلمه أن يتمادى في تعليم القران وان يأخذ الصدقة حتى يبلغ ما يريد[129]. وفي معرض حديثه عن الزكاة ذكر الفقيه المالكي الداودي [130] أن في الأموال حقوق دون الزكاة منها " إعطاء السائل إن صادف شيئاً موضوعاً كان حق على المسئول أن يعطيه منه..وان لم يجد شيئا حاضرا .. وجب عليه أن يعطيه ما يعينه"، وفسر قوله تعالى " واتوا حقه يوم حصاده[131]

انه غير الزكاة وهو إعطاء السائل حين حصاد المحصول، والزم صاحب الزرع بترك ما أخطاه الحصادون لهؤلاء السؤال ، بل وأعطى السائل الحق في اخذ المطلوب من المسئول كرها وان يختفي به إن لم يقدر عليه إلا بذلك. ويبدو أن شيوع ظاهرة التسول كانت دافعاً لان يفرد الفقيه ذاته فصلا للحديث عنها[132]، انتهى فيه إلى جواز السؤال حتى ولو على غير وجه الفقر والفاقة،إذ أعطى للمرء أن يسال الناس"الأمر نزل به لحاجة أصابته أو حمالة تحمل بها أو دية لزمته أو ليكافىء على ما يؤتى إليه، فهذا حلال". ولم يقف الأمر عن هذا الحد بل أفتى الفقيه بان من "اضطر إلى المسالة ففرض عليه أن يسال ولا يكون المسؤول حينئذ أفضل منه"، ولم يدخر وسعاً في دحض موقف مخالفيه مدعماً حججه وقرائنه بالآيات والأحاديث ومواقف الصحابة والتابعين وأقوالهم.

لا شك أن تلك الفتاوى الفقهية كانت نابعة من إدراك حجم الأزمة الاقتصادية التي أحاطت بأفريقية خلال فترة البحث والتي أفرزت شريحة لا يستهان بها من المعدمين والمعوذين، فصار التسول بالنسبة لهم أمرا مباحا، وباتت الظاهرة في اقل مراتبها الفقهية ضرورة واقعية باتت "مماعمت بها البلوى"، فهل يمكن القول بان تلك الفتاوى وغيرها والتى اتسمت بنوع من الضبابية والميوعة– صارت ذريعة شرعية استند إليها الفقراء وضحايا المجاعات والجوائح بل وحتى محترفي جمع المال لممارسة التسول؟ وهل أوجدت في العقلية الشعبية مساحة على هامش الدين استقت

منها اعتقاداً كامناً بضرورة التعاطف مع كل سائل أياً كانت دوافع سؤاله في وقت تجدرت فيه الأزمة الاجتماعية وغاب دور السلطة في معالجتها؟

إن الإجابة بالإثبات على مثل هذه التساؤلات قد لا تبدو متسرعةً إذا ما أُخذ في الحسبان البعد الآخر – الذى لا يقل في أهميته عن الفقر والبطالة وميوعة الموقف الرسمى، في تهيئة الظروف المواتية لنمو التسول، وله في الوقت ذاته تأثيره الواضح على العقلية الشعبية للتعاطف مع السؤال – ويُقصد به التسول الاختياري عند طائفة من الزهاد والنساك والمتصوفة، ممن اندرجوا في صفوف السؤال وآثروا حياة الفقر والبطالة طواعيةً واختياراً واتخذوا من التقشف والزهد في طيبات الدنيا وسيلة لبلوغ الكمال والصفاء والتقرب إلى الله تعالى والرغبة في الدار الآخرة [133]، حيث لم يدخر منظروا التصوف وسعاً في تصنيف الكتب[134] والمقالات[135] التي تبيح التسول، بل وتعتبره في أحيان كثيرة نوعاً من العبادة ومظهرا أساسا من مظاهر الزهد وملمحة رئيسة من ملامح التصوف، استناداً إلى أن حيازة الطعام مضيعة للوقت وان ذل السؤال تدريب للنفس،وان سؤال من يملكون يجنب المرء سؤال الله شيئاً من متاع الدنيا [136]،ويجلب الأجر والمثوبة للمسئول[137] ويعفى السائل من تبعة مصدر الصدقة والسؤال عنها في الاخرة[138] .وهكذا أوجب بعضهم التسول على المريد في بداية أمره[139] – وان بشروط معتبرة[140] – محتجين بأنه" لا خير فيمن لم يذق ذل المكاسب وذل السؤال وذل الرد[141]، وانه لا يزال الفقير بخير ما دام خبزه كسرا.. يقف, بكل باب يسمع يفتح الله عليك[142]" . فهل تنسحب تلك المعطيات – والتي تأخذ صفة العمومية – على افريقية خلال فترة البحث؟

لقد تحدث البناني[143] عن عادة كانت جارية عند زهاد ومتصوفة[144] افريقية الأوائل وهى انهم كانوا إذا أتاهم منتسب من أهل الدنيا الزموه بالتسول من غير شهوة حتى يأتي على آخر المدينة ثم يتصدق به " . وأورد البغدادى[145] رواية تتحدث عن دخول الصوفي المشهور أبى يزيد البسطامي افريقية خلال القرن الثالث الهجرى معتقداً جهل أهلها بالتصوف فأدهشه ما رأى فيها من استغناء من بها من الزهاد والمتصوفة عن أسباب المعاش، حتى انه اعتبر أروع ما سمعه منهم مقولة شاب منهم : "إن كل متوجد إلى ومواضع الأسباب قائمة فيه فانه لا يصل إلى الله". وعاين الزاهد ذو النون المصرى (ت 245هـ/859 م) بأفريقية طائفة من الزهاد الذين أثروا حياة الفقر ، فكان" أكلهم الفلق من خبز البلوط ولباسهم الخرق من الثياب قد يئسوا من الدنيا ويئست الدنيا منهم[146] . كما ترد عند المالكي[147] إشارات من أهل افريقية كانوا يسيحون في الأرض يهيمون على وجوههم يغيبون عن أهليهم السنوات الطوال لا يطمعون إلا فيما يسدون به رمق البطون ويسترون به عرى الأجساد. وهو ما أكد عليه البادسى[148] حين نقل رواية الشيخ أبي الحسن على بن محمد المراكشي في كتابه "مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء" تحدث فيها عن طائفة من متقدمى الصوفية بأفريقية ممن كانوا " لا يشتغلون بمكسب اشغلهم المسبب عن السبب ما لهم حرفة... يكون قوتهم على الله تعالى لأنه كافل أمرهم ويرزقهم على يد من يشاء من عباده" . ويبدو أنهم كانوا من الكثرة التي دعت بعض كتاب الفترة أن يفردوا لهم حيزا كبيرا في كتبهم التي خصصوها لتراجم العباد والزهاد والنساك والمتصوفة من أهل افريقية، ممن خصصت لهم العديد من الربط والزوايا مثل رباط المنستير

وقصر زياد وقصر الطوب وقصر الدمنة وقصر حبشى وقصر الحامة وقصر القبرياني وقصرو دويد وقصر جبنيانة وقصر ابن الجعد وقصر سهل وقصر الجديد، وامتدت إليهم ايدى الناس بالصدقة والإحسان[149]. وإذا ما صدقت تلك الرواية التي تتحدث عن هدم الفاطميين لحصون افريقية وإجلاء من فيها من هؤلاء الفقراء والمعوذين[150] فإنه يمكن التكهن باندراجهم في صفوف السؤال بعد أن تشردوا وحرموا المطعم والمأوى.

يبدو أن التسول صار شديد الارتباط بالتصوف، فأفسح المجال أمام جملة من الكسالى والبطالين ومحترفي جمع المال والمعوذين للاندراج في أسلاكه[151]، مما دفع البعض إلى الحمل بشدة على الزهاد والمتصوفة الذين خلدوا إلى حياة البطالة والاتكالية والخمول وركنوا إلى العيش على التطفل والصدقات وجعلوا من التسول مورداً للرزق، حتى إن رباطات الزهاد والنساك امتلأت آنئذ بجملة من البطالين" تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق[152]" قد "اتخذوا الكدية كسبا"[153] و" ألفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية.. واقتناص الأموال, بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع.. والسؤال على اسم "التصوف[154] . حتى صار من أهم ما يميز صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين" الذل والكدية[155] . وهكذا افرد اليوسي[156] ضمن كتابه فصلاً عن تاريخ الزوايا والربط في البلاد المغربية، وبين كيف شاع منذ القدم ظاهرة التسول بين الزهاد والنساك ، وضمن كلامه بالعديد من قصص هؤلاء الزهاد السؤال وطريقة تسولهم وموقف الناس منهم . ويبدو أن ذلك الارتباط بين الصوفية والتسول على المستوى الواقعى كان وراء تعالى أصوات أهل الفهم من الزهاد والصوفية بضرورة إجلاء حقيقة التصوف والزهد والتمييز بينه وبين التسول[157] . وهو .ما دعى أصحاب كتب المناقب أيضا أن يميزوا بعض صوفية افريقية عن غيرهم من المتصوفة الذين اتخذوا من التصوف وسيلة للكسب وجمع المال ، فقد وصف الزاهد سعيد بن عباد (ت251هـ/865 م) بأنه كان فقيرا متعففاً[158] ، وأبو القاسم الاندلسي (ت 308هـ/920م) بأنه "صحب النساك الصالحين، طريقة الفقراء الصادقين. . من أهل الله المتقين"[159] ، و الزاهد محمد بن عبد الله السرى (ت309هـ/921م) بأنه من العباد والزهاد البدلاء المريدين العاملين ينتحل التوكل"[160]، وعلل الزاهد سعد بن مالك (334هـ / 945 م) ترفعه عن "الأخذ من الناس خوفا من شغل القلب"[161]

وإذا ما كشفت تلك النصوص عن اندراج بعض الزهاد والمتصوفة في صفوف السؤال،فان المصادر تفصح عن اتساع دائرة التسول لتشمل معهم العديد من أصحاب الأصول الاجتماعية الفقيرة . مثل أصحاب الأعذار من المقعدين[162] والعميان[163] والزمني[164] والجذماء وأهل الضر[165] وأرباب العاهات والبلوى والعلل[166] والمشوهين[167] ومقطوعى الأطراف والمجانين[168] وغيرهم ممن لا كعب لهم إلا السؤال . وكذا اليهود[169] والنساء[170] واليتامى[171] والمكاتبين[172] والعبيد وطلبــة العلم[173] والعجائز[174] والخدم[175] والصبيان[176] والغرباء[177] والمحابيس[178].

بعد الإتيان على الظروف التي أفرزت شريحة السؤال ورصد أهم عناصرهم، يحق التساؤل عن الأماكن التي كانت يمارس فيها التسول وكيفية ممارسته وموقف فئات المجتمع منه، وملامح الحياة الخاصة لممارسيه.

فيما يتعلق بأماكن التسول ، يمكن القول بان التسول لم يكن كغيره من وسائل جلب الرزق التي تعتمد في الأساس على الاستقرار ، بل كان يفرض على ممارسيه تنويع الأماكن وتغيير المواطن بحثا عن الرزق .

**أماكن التسول:**

كانت أماكن العبادة من أهم المواطن التي اختارها السؤال بدقة مشهودة لممارسة السؤال، لما تثيره في النفس من الرهبة والخشوع والخشية وتذكر الدار الآخرة. لذا، تعد المساجد من أهم الأماكن التي قصدها السؤال، وهو ما أدركه أهل الحنكة والتجربة من السؤال حين أوصوا أتباعهم بان يضرب الواحد منهم" وجه المحراب و[ ينام تحت حصر الجوامع[179] " وكانت أيام الجمعة من أكثر الأوقات التي تواجد فيها السؤال بالمساجد –حتى صار أمرا شائعا بمجموع العالم الاسلامي شرقا وغربا وبأعداد كبيرة "يسألون الناس[180]، حتى أنه كان يتعسر علي المصلين سماع الخطبة " من صياح السؤال[181] ، مما دفع المحتسبين إلى مواجهة الظاهرة فأصدروا الأوامر المشددة إلى القائمين على شئون المساجد ألا يتركوا "ساعٍ, في رحاب المسجد[182] ، وألا يعطى" سائل[183] ، وان يمنعوا السؤال يوم الجمعة أن يدخلوا مقصورة الجامع[184] " . في حين كان الفقهاء أكثر تعاطفاً مع أولئك السؤال حين أفتوا بان "السؤال في المسجد والصدقة..غير محرمة"[185] شريطة ألا يتخطى السؤال رقاب الناس[186] .

كان طبيعياً أن يشيع تواجد السؤال بالمساجد زمن الشدائد والمجاعات لاتخاذها مواطن إغاثة وإطعام من قبل المحسنين[187]. ولم يتورع بعض السؤال عن الانقطاع إلى المساجد بشكل دائم واتخاذها مقراً للسكن والمبيت، فقد تحدث الخشني[188] عن طائفة من السؤال كانوا يقيمون في ركن المسجد الجامع بالقيروان فسموا بالركنية، كانوا موضع رفق وصلة وإحسان من قبل المصلين. وكان من عادة الفقيه الاباضي ابى جعفر بن خيران (الطبقة التاسعة 400–450هـ) أن يتردد على المسجد المجاور له يبحث فيه عن السائلين وأبناء السبيل للتصدق عليهم[189] كما جرت العادة أن يقصد الحانثون في أيمانهم المساجد للبحث فيها عن المساكين الملازمين لها للتكفير عنها[190] . في حين اثر آخرون الانتقال من مسجد إلى آخر يبيتون فيه أو يلازمون أبوابه وقوفا وجلوسا توسيعا لدائرة الاستجداء واستقطابا لأكبر عدد . من المتعاطفين[191]

ويندرج تحت المساجد مواطن حلقات العلم ومجالس القضاء التي اعتاد بعض السؤال ارتيادها لجمع الأموال والأشياء من أهلها لا سيما وان بعضها كان مجالا لتوزيع الصلات على الفقراء والمحاويج من روادها[192]، وهو ما تتوفر بخصوصه بعض النصوص. فقد نقل المالكي[193] رواية ابن مسرور – من أكابر أصحاب سحنون – التي ذكر فيها انه كان حاضراً لمجلس الفقيه عبد الجبار بن خالد السرتي (ت 281هـ / 894م) فوقف عليهم سائل يطلب المعونة. وأورد الخشنى[194] رواية عن ابن الحداد الذي اخبره احد السؤال انه حصل مالاً وفيرا من القاضى ابن طالب قائلاً "كنت إذا نظرت إليه قد جلس في مجلس قضائه قمت بحذوه.. فيأمر لى" . وحين عقد الفقيه المالكي أبو الحسن الكانشي (ت347هـ/958م) مجلس علمه والتف حوله طلابه أتاهم سائل يشكو موت دابته فتوجع لذلك الفقيه ودعى الحاضرين للتصدق عليه[195] .

وجرت العادة من قديم أن يمارس سؤال آخرون المسالة عند أبواب الأضرحة أو بداخلها بعموم بلاد المغرب، ولا غرو، فقد اشتهرت بعض تلك الأضرحة بان الواحد منها لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته؛ فالتبر يسيل، واللجين يفيض، وذوو الحاجة كالطير تغدو خماصاً وترجع بطانا[196] ، وهكذا كان أهل الحاجة وأصحاب الكربات يقصدون تلك الأضرحة مستغيثين بأصحابها ومقدمين بين يدى نجواهم الكثير من الصدقات التي يعمد إليها القائمون على تلك الأضرحة ويفرقونها "على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها[197] "

كان طبيعياً ان يلازم بعض السؤال الربط والزوايا بهدف المسالة، خاصةً وان أهل الخير والعطاء كانوا اشد حرصاً على تقديم الصدقات والعطايا والصلات لأهلها من الزهاد والعباد والنساك. وهو ما يؤكده احد الكتاب المغاربة [198] حين تحدث عن عادة أهل الزوايا والربط من إطعام " المجاورين والواردين وهذا كان فيهم من قديم" . ويقدم المالكي[199] نموذجاً لأحد هؤلاء الواردين من السؤال أثناء ترجمته لعمرون الحامى (329هـ/ 940م) النازل بقصر الحامة، حيث قصده ذات مرة سائل وبصحبته زوجته سائلاً إياه ربع دينار يشترى به سمكاً تشتهيه زوجته المصحوبة.

فضلاً عما سبق، كانت الأسواق أيضا مقصداً لطائفة من السؤال، وهو ما دفع أهل الحسبة إلى التشديد على إخراج من يتعرض لمسالة الناس وطلب الصدقة من الأسواق وتأديبه إن ثبت عدم احتياجه للسؤال[200] . ولم تخل أسواق افريقية من السؤال ، ففي القيروان كشفت كتب التراجم عن كثرة السؤال بسوق المدينة، فقد قصد البهلول بن راشد ومعه تلميذه دحيون سوق المدينة يؤدى ديناً كان عليه لأحد النخاسين فوقف به " سائل فقال لدحيون ادفع إليه دينارا[201] . ودخل الفقيه اسماعيل بن رباح (ت827/212م) السوق ومعه دنانير كثيرة فأبصر فيه عدداً من السؤال فاضطر إلى استبدالها دراهم "فلما صارت الدراهم إليه وقف به سائل وقال تصدق على فأعطاه درهما ثم وقف به آخر فأعطاه درهما ففطن به المساكين فتحاشدوا عليه فتصدق دينارا آخر ثم آخر حتى تصدق بها كلها على المساكين[202]" . وفي ترجمته للفقيه المالكي عون بن يوسف الخزاعي (ت239هـ/ 803 م) ذكر عياض[203] انه كان يبيع الكتان بسوق القيروان وكان من عادته أن يحمل معه قفة مملوءة بالتين فإذ جاءه السائل أعطاه تينتين لا يزيد عليهما ولا يرد سائلا" وهو ما يكشف عن كثرة أعداد السؤال بهذا السوق وتأكيداً على ورع الفقيه عيسى بن مسكين (ت 275هـ / 888م) ذكر عياض[204] أنه أمر خادمه بان يتصدق بثمن زيت اشتراه له من بائع نصرانى على مساكين كانوا يلازمون السوق . وهو ما نجد له مثيلاً في ترجمة الفقيه الاباضى أبو الخطاب عبد السلام (الطبقة التاسعة 400-450هـ) الذي ارتاب في طعام خراف كانت عنده فخرج بها إلى احد أسواق افريقية وباعها وتصدق بثمنها على من المساكين[205]، وفي ترجمته للفقيه ابو بكر بن يوسف الخزاعي المتعبد (ت390هـ/999 م) ذكر الدباغ[206] أنه عمد إلى احد الجزارين بسوق القيروان "فسأله سائل فدفع إليه ما كان معه من الدراهم" وتدفع الفتوى المنسوبة إلى فقيه افريقية يحيى بن عمر ، والتي تقضى بتأديب من يكتشف غشه من الخبازين وبائعي الألبان والتين المدهون بالزيت بانتزاع تلك الأشياء منهم والتصدق بها على الفقراء والمساكين[207]، إلى الظن بان بعض السؤال كان يتواجدون بالأسواق طمعاً في الإصابة من تلك المواد المصادرة.

ومن السؤال من كان يلزم الأفران للحصول على الخبز. فقد انتهى الفقيه إسماعيل بن رباح إلى احد أفران ايلان فوجد عليه أمةً من المساكين، فاشترى بنصف دينار خبزا ثم وزعه عليهم[208] . وامتلك الفقيه القيرواني هاشم بن مسرور (ت 307هـ / 919م) فرنا بالقيروان كان يتصدق من خبزها على من لازمها من الفقراء والاضراء[209] . وحين حمل الفقيه احمد بن نزار (ت 337هـ/ 948م) ذات مرة خبزه إلى أحد أفران القيروان "إذا بسائل يسال[210]"

اعتاد بعض السؤال الالتجاء إلى أبواب المنازل لطلب الصدقة من أهلها، فقد عرف بعض فقهاء الفترة المسكين بأنه" الذي يسال في الأبواب[211] ، وجمعت المصادر بين "السؤال والتردد على الأبواب [212]، وعبرت عن ذلك بعض أمثال العامة[213]، وحث عليه العقلاء لنوال المطلوب[214]، وكشفت عنه الروايات التاريخية. فقد وصف التابعى حنش بن عبدالله الصنعاني الذي عاش بأفريقية خلال القرن الأول بأنه كان كثير الصدقة "لا يرد سائلا" وإذا استطعمه السائل على باب داره لم يزل يصيح بأهله أطعموا السائل[215]. وقصد أحد السؤال دار الفقيه عبد الرحيم المستجاب(ت247هـ/861 م) فآثره بقرص شعير كان قد أعده لإفطاره[216] ، وكانت دار القاضى القيروانى ابن طالب (ت 275هـ/ 888 م) هدفاً لأحد الفقراء يشكو إليه الإقلال ويعرض عليه بالسؤال[217]، واعتاد الفقيه أبو ميسرة احمد بن نزار(ت 337هـ/948م) ان يجعل مائدة طعامه حذاء الباب " فإذا أتى سائل فتح الباب وأعطاه[218]". وجلس الفقيه الاباضى أبو محمد الدرفي أمام بيته فاتاه "مسكين وهو ياكل شواء اشتراه فاعطاه"[219]. ونقل المالكي[220] عن تلميذ للفقيه المذكور يدعى ابن الخلاف انه كان بحضرته ذات يوم "فوقف بالباب سائل". وبلغ جود الفقيه الاباضى عيسى بن زرعة أن فتح "كوة من بيته تقابل موضع قعوده ونومه يعطى منها للفقراء[221]". وقصد أربعة من المساكين بيت الفقيه أبى إسحاق الجنبيانى، فلم يجد سوى حبتين من التين قسمها عليهم نصف حبة لكل مسكين [222] . ولما عاد أبو يعقوب البغطورى ذات ليلة من المسجد في زمان شدة وجد عند باب داره سبعة عشر رجلا فقيرا يسألونه الطعام فخلط لهم الدقيق بالماء وأعطى كل واحد منهم قبضة[223] . وصادف وجود أبي صالح جنون بن يمريان (300-350هـ) بداره ذات مرة مجيء سائل" بليل فقام إلى البيت يلتمس ما يعطيه[224]" . وحين جلست امرأة من أهل جبل نفوسة زمن الفقيه العباس التمنكرتى تغربل دقيقا لها أمام باب بيتها فقصدها " سائل .. فأعطته دقيقاً[225] ويبدو أن ارتياد السؤال للبيوت كان دافعاً لاستحضار الفقهاء للموضوع ضمن اجتهاداتهم الفقهية، حيث حرموا تربية الكلب بالبيت لأنه "يروع السائل[226] " ، واسقطوا الضمان عن صاحب الدار إذا تعدى على سائل دخل داره دون إذنه[227]، وحرموا على الزوجة إن أعطاها زوجها نفقة البيت أن "تطعم من تلك النفقة سائلا ولا غيره إلا بإذنه[228] . ولم يجيزوا للضيف التصرف في الطعام المقدم إليه بما سوى من الأكل الماذون فيه"فلا يطعم السائل[229]". ولم تغب المسالة عن ذهنية رجال الأدب الذين صنفوا أنواع الضيوف واستنكروا من بينهم ذلك الضيف الذى " يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك[230]"

وكانت المسالة في الطرقات امرأ معروفا في افريقية، ويبدو أنها كانت ظاهرة لفتت الانتباه حتى أن مصادر الفترة تحدثت عن مجموعة ممن يسالون نعتتهم بـ" بـ "أهل الطرق"[231] ، وهو ما تلح عليه روايات أخرى، فقد أعطى سحنون احد تلامذته يوما صرة دنانير وأمره أن يتخلل بها أزقة القيروان وشوارعها لتوزيعها على من يلازمها من الفقراء والمساكين[232] . ومر الفقيه ابن مسرور (ت 307هـ/ 919م) ببعض أزقة القيروان فقابله سائل وشكا إليه اضطراره للمسالة، فما وجد بحوزته سوى ثلثي درهم فدفعها له[233] ولقى ابن طالب في طريقه سائل ضعيف شكا إليه فقره وعرى بناته[234] . وحين عاد القاضي ذاته بحمولة قمح متجها إلى بيته في زمن مجاعة أبصر الجمال فقير فراح يسايرها في الطريق يعرض لابن طالب في الصدقة[235]. وكانت ملازمة هؤلاء السؤال للشوارع ابتغاء الصدقة وراء تشديد كتب الحسبة على المحتسب بالا يترك أحدا يجلس في خلوات الزقاق.. ويمنع من يشتغل بالكهانة والخط.. ويؤدب من ظهر عليه ذلك لأنه من أكل أموال الناس بالباطل [236]"

وكانت المزارع ومواطن الحصد والدرس موئلا للسؤال والطوافين على الزكاة والعشور، فقد رفع فقهاء الاباضية الأوائل الحرج عمن دفع زرعه كله للسؤال وأنفقه في وجوه البر بعد إخراج زكاته[237]، وأجاز محمد بن سحنون[238] بيع ثمار الأشجار المحبسة على المساكين وتفريق ثمنها عليهم رفعا للضرر الذي يحدثونه بصاحب الجنان نتيجة مرورهم لأخذها منه عند الحصاد . وحث الفقيه الداودي[239] من حصد زرعا أو جد ثمرة أن يواسى منها من حضره... ونهى عن الجذاذ بالليل لما يقطع عن المساكين في من الرفق"، وأفتى ابن لبابة (ت330هـ / 941م) ألا تنقل زكاة الزروع من موضع الحصاد إلى غيره إلا أن يخلو ذلك الموضع من المساكين[240]، وسئل بعض المتقدمين من فقهاء افريقية عن رجل " طلبه سائل فوعده لوقت كيل الناس فلم يأت ذلك الوقت فأعطاه لآخر[241] ، وترد نازلة أخرى عن رجل مر" به سائل وهو في حائطه أو في حرثه فيناوله الثمرات والقبضة من الطعام"[242] . وترد نصوص أخرى في كتب التراجم تصب في السياق ذاته، فقد جرت عادة الفقيه أبي المهاصر الافاطماني أن يترك ما من أشجار بساتينه لمن يقصدها من الفقراء والمساكين لا سيما سنوات الجدب والقحط[243] واعتاد الفقيه الاباضي أبو هارون الجلالمى ادخار ثلث ما يجنيه من الأرض لمن يقصده من الفقراء يسقط والمساكين وأبناء السبيل[244]. وكان من دأب الفقيه أبو أيوب بن كلابة الزواغي إذا جمع زرعه أن يطلق يده للنفقة للوارد والصادر من المحاويج[245] وحين قصده مجموعة من السؤال في سنة شديدة القحط وقد جمع القمح في مطمورة له تصدق عليهم بما فيها[246]. وكانت مزارع الفقيه الاباضي أبي صالح جنون بن يمران تغص بالسؤال زمن الحرث لأنه كان يزيد لهم العطاء[247]، وقصده مجموعة من المساكين في غير موعد الحصاد وقد كان مشغولا بنوبة مائه فأعطاهم إفطاره وسحوره تأديبا لنفسه التي شغلته عن صلاة الجماعة[248]. وحين فرغ الفقيه الاباضى أبو الشعثاء من حصاد أرضه وحمل الحب على جمل له أتاه احد المحاويج شاكيا له ضيق حاله فأعطاه[249]، وبالمثل ما أن فرغ الشيخ الاباضي أبو مامد حصاد أرضه من حتى وقف على رأسه سائل ففرغ له الشيخ ما في التلاليس من حرث[250]

ولم يتردد بعض السؤال عن التوجه إلى معاصر الزيتون طلبا للزيت، وهوما تفصح عنه ترجمة القاضي ابن طالب الذي كانت له معاصر يشرف عليها رجل يدعى أبو إبراهيم وصف بغلظته وشدته في الرد على من أتاه من

السؤال[251] . وهو ما ينسحب على الفقيه أبى اسحاق الجنبياني الذي كان مشهورا بتوزيع زيت معاصره على من يقصدها من الفقراء[252].

ومن مطالعة النصوص يمكن القول بان السؤال كانوا أكثر حرصاً على استغلال المقدس كالمواسم والأعياد الدينية لاستدرار عطف الناس وتلقى صدقاتهم . وهكذا تشير المصادر إلى اعتياد السؤال الوقوف بالشوارع وعلى أبواب المساجد أيام العيد[253]، حتى تعالت أصوات الفقهاء تحث الناس على المسارعة في إخراج . صدقة الفطر قبل العيد للفقير ليأكل منها " ويستغنى عن السؤال[254] " ، ومؤكدة على كراهة "أن يسال المساكين في العيد في المسجد والمصلى[255]". وكان يوم عاشوراء" موسماً للمساكين ... يبرزون فيه ويلحون في "الطلب[256] ، وهو ما أكده الرحالة الذين زاروا البلاد ووصفوا تعظيم أهل افريقية ليوم عاشوراء الذي كان لهم فيه" صدقات كثيرة وكساء للمساكين[257] " . كما جرت العادة أن يجلس الناس في يوم عرفة بالمساجد ومعهم الصدقات يعطون " منها "السؤال[258].

**الطرق التي اتبعت للتسول:**

لا شك أن طريقة التسول تعددت بتعدد أساليب السؤال على حث مشاهديهم وسامعيهم على العطاء .فكان من بين السؤال من يفضل اصطحاب الأطفال ليستدر بهم العطف، ففي ترجمته للفقيه يوسف بن مسرور(ت 324هـ / 935م) ذكر المالكي[259] انه أبصر بأحد أسواق القيروان سائلة مصطحبة طفلاً لها قد حاذت به حانوتاً لبيع الحلوى حيث اخذ الطفل في البكاء بدموع حارة وهى تعلله بقولها" يفتح الله عز وجل واشترى لك " ، وهى عبارة تشي الى اعتماد تلك الأم على بكاء صبيها لاخذ الصدقة التى تقدم لها ممن ترق قلوبهم لحالها وحال طفلها.

وإذا ما كان بكاء الصبي هنا وسيلة ناجعة اعتمدت عليها تلك السائلة، فان سائلاً آخر اتخذ من طريقة أكل أطفاله وسيلة لإثارة عطف الزاهد عبد الخالق المتعبد (ت 210هـ/825 م)، حين ظهر أمامه ذلك الفقير وعليه اثر البؤس ومعه أطفاله يقضمون الشعير كما تقضم الدواب، فسارع الزاهد إلى بيته واحضر لهم طعاما قد أعدته له زوجته[260].

وكان من أساليب بعض السؤال الدافعة للتصدق عليهم إخبار بعض الصالحين بما يرونه لهم من الرؤى الطيبة. فقد قصدت إحدى الفقيرات يوسف بن عون الخزاعي (ت240هـ / 854م) وأخذت تبكى بين يديه وقصت عليه أحداث الرؤيا التي رأتها له، غير أن جهدها راح سدى حيث أجابها بأنه لا يملك درهما واحداً [261].

وكان لبعض المهرة من السؤال طريقتهم في الأخذ من القضاة والفقهاء والعلماء خاصة، وذلك عبر انتقاء آيات قرآنية خاصة تحث على الصدقة والعطاء والجود وربط قلوب سامعيها بالدار الآخرة ، طمعا في رضوان الله ونيل الدرجات العلى من الجنان، والتفنن في اداءها وترديدها بين ايديهم، . وهو ما تكشف عنه جلياً تلك الرواية التى أوردت ما جاء على لسان سائل أعمى، كان كثيرا ما يتردد على مجلس القاضي ابن طالب ، ويردد عليه بعضاً من هذه الآيات، حيث قال : "وصل إلى من مال ابن طالب بأية من كتاب الله – نحو السبعين مثقالا ، كنت إذا

نظرت إليه قد جلس في مجلس قضائه قمت بحذوه ثم قلت (بسم الله الرحمن الرحيم، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قال : فيأمر لى بالمثقال والمثقالين ما أمكنه" [262]

ويبدوا أن القاضي ابن طالب قد اشتهر عند سؤال القيروان بتأثره بهذا النوع من الآيات، فلم يدخر بعضم وسعاً في ترديدها على مسامعه لنيل أنواع الصدقات، وهو ما تفصح عنه رواية أخرى تخص سائلا آخر من العميان دخل مع زوجته سوق القيروان لعله يجد فيه بغيته، فاشتهت زوجته أكل خروف أعده احد الطباخين للقاضي، فاقسم لها زوجها أنها ستأكل منه، وما أن أُحضرت المائدة إلى القاضي حتى قام السائل بين يديه قائلا:" يا قاضي قال الله تعالى " ويؤثرون على أنفسهم.. "وقال " إنما نطعمكم لوجه الله .." فصاح القاضى وقال يا غلام خذ هذا الخوان وامض معه "به"[263] وهو ما نجد له نظيرا في ترجمة الفقيه أبى عيسى مروان بن عبد الرحمن (ق 3هـ/9م) الذي لقيه سائل في سنة مجاعة وشدة فاستعطفه مرددا قوله تعالى " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له[264]" . وهي الآية ذاتها التي رددها سائل آخر على مسامع الحاضرين لحلقة الفقيه عبد الجبار بن خالد السرتي من أكابر أصحاب سحنون [265].

وإذا ما غابت في المصادر تلك المادة التى تكشف عن نوعية من السؤال كان لهم حضور بالمشرق فكانوا يحفظون سورة يوسف باعتبارها أحسن القصص ويكثرون قرأتها في الأسواق والمجامع والمساجد[266]، فإنها تحدثت عن نوعية اخرى من متسولين كانوا يجوبون أزقة القيروان متخذين من الروايات التاريخية الشفاهية مادة لإمتاع السامعين لاستماحة أموالهم [267] .

في حين فضل غالبية السؤال الاستجداء عن طريق ترديد مجموعة من الجمل والعبارات التي تتميز بالإيجاز وشدة التأثير، وتجسد مدى الاحتياج، يستدرون بها العطف ويحفزون من خلالها الهمم على إخراج المال دون شعور بأدنى أسى لفقده[268]. وهكذا حفظت لنا المصادر بعض هذه العبارات التي لا يزال يستخدم السؤال بعضها اليوم مثل " من يعطيني عشائى الليلة" [269] و" تصدق على[270] و"اعطني " فاني مضطر[271] " و "اطعمنى الخبز[272]" و"شيء الله[273]" و"شفيعي إليكم رسول الله[274]"" من يعطينى شيئاً[275] و"وأطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة[276]" أو "رحم الله من اشبع الجائع[277] .... الخ ، ولا يساورنا الشك في أن بعض السؤال كانوا يستعطفون الناس بترديد اسم الله تعالى أو القسم بذاته على المسئول، وكذا التعرض لـ السؤال باسم الشيخين وعلى[278]"

وكان لبعض السؤال من المتصوفة طريقة قديمة معروفة رددتها المصادر، وهى أن يتوضأ السائل ويصلى ركعتين ثم يحمل بيده اليمنى زنبيلا ثم يخرج إلى السوق بصحبة آخر ثم يأخذ في ذكر الله بصوت عال فيعطيه الناس في ذلك الزنبيل[279]. وترد إشارات عمن كان يقف على باب حانوت أو دار معينين ويردد كلمة "الله" ويمد بها صوته حتى يكاد يغشى عليه ويسقط[280]، وعمن كان يتخلل الأسواق وينادى ارحموا صوفيا[281]" ، وعمن كان يلزم الصمت ويتعرض لأهل الحوانيت دون أن يذكر شيئا،مثل ذلك الصوفي الذى اخذ يجول في الأسواق والمجامع دون أن يسال

أحدا وإنما يعرض نفسه لما يفتح الله تعالى من رزق .. حتى انتهى إلى طبيب نصراني .. فجلس بين يديه ومد إليه يده[282]"

وآثر سؤال آخرون استدرار عطف المسئولين من خلال إخبارهم بالدوافع الشخصية التي الجأتهم إلى السؤال ودفعتهم إلى طلب أشياء بعينها كانوا أحوج إليها من غيرهم، مثل ذلك السائل الذي قصد الفقيه عبدالله بن حسان اليحصبي (ت 226هـ / 840م) واخبره بتهدم داره اثر نوء عظيم ومطر وابل، فدفع إليه خمسين دينارا يستعين بها في بنيان الدار ومرمتها[283]. وذلك الرجل الذي أتى الفقيه محمد بن سحنون بعد أن افتقر واشتد عليه الحال، فسأله مالا وعلل سؤاله بما ألم به من الفقر والجوع والحاجة[284].

هكذا تكشف المعطيات الآنفة عن تعدد الطرق التي سلكها السؤال بغية الحصول على المطلوب، بيد أنها تظل في التحليل الأخير وسائل بسيطة لا تتعدى الاستجداء الفردي المدفوع بأسباب اضطرارية ممثلة في ضيق ذات اليد والمعاناة من الفقر المدقع، حيث لم ترد في المصادر المتاحة إشارات عن التسول باعتباره حرفة يهدف أصحابها تحقيق مكاسب مادية بلا جهد أو عرق، كما لم نعثر على إشارات تكشف عن متسولين محترفين متحايلين كأولئك الذين تحدث عنهم الجاحظ[285] بالمشرق، وكشفت عنهم كتب الحسبة بالأندلس[286]، اللهم إلا هاتين الإشارتين اللتين اوردهما الجاحظ[287] في متن حديثه عن حيل السؤال، تتعلق أولاهما بطائفة من متسولة المشرق كانوا يعرضون أبناءهم على المشعب ليجعل منهم عميانا وعرجانا وعمشا وحذبا" وربما اكروا أولادهم ممن يمضى إلى افريقية فيسال بهم". وتخص الثانية احد محترفي السؤال يدعى المقدس الذي كان يستدر عطف الناس بالوقوف على راس الميت من البشر يسال له كفنا أو دابة نافقة يدعى أنها كانت له ويزعم انه احصر بسببها، حيث ذكر الجاحظ أن بعضهم كان يتقن لهجة أهل افريقية ويحسن معرفة مدنها وسككها ورجالها لإحكام حيلته، مما يحمل على الظن من خلال الإشارتين بان افريقية كانت هدفا لنوعية خاصة من محترفي التسول المشارقة الذين وجدوا بها قدراً من الأمان الحرفي ببعدها عن أماكن استيطانهم، وربما أيضا لأنها ظلت أرضا بكرا لممارسة تلك المهنة التي باتت أساليبها وحيلها خافية نسبيا عند أهل افريقية مقارنة بشيوعها عند أهل المشرق. وهو ما يحمل على الظن بأن حضور هذه النوعية في مجتمع أفريقية خلال تلك الفترة المبكرة كان مناخا مناسبا لنمو ظاهرة الاحتراف في التسول خلال الفترات اللاحقة، نتيجة نقل الخبرة وسهولة الاحتكاك ، تلك الظاهرة التي ما فتئت تزداد مع مرور السنين تألقا، حتى أنها صارت مشهودة للعيان بعد فترة البحث وبعموم الغرب الاسلامي بشكل دفع أرباب الحسبة المغاربة إلى إصدار الأوامر بتعقب طائفة من محتالى التسول ومحترفي الحيل[288] .

من خلال مطالعة مصادر الفترة يمكن الوقوف على مدى موقف شرائح مجتمع أفريقية من تلك الوسائل التي مارسها السؤال لاستدرار أموال الناس واعطياتهم. والتي يبدو أنها كانت مواقف مذبذبة بين التعاطف والصد تبعا لنوعية السؤال.

كان المتصوفة والأولياء والفقهاء والعلماء ومن دار في فلكهم من ابرز شرائح المجتمع تعاطفاً طائفة مع السؤال والمعوذين، إذ تغص كتب المناقب والسير بفيض يند عن الحصر من النصوص التي تصب في ذلك السياق، لا سيما إذا ما وضع في الاعتبار ما ألمحت إليه المعطيات الأنفة من اندراج طائفة من الغرباء والأرامل واليتامى والمعتوهين وأرباب العلل فضلا عن المجاذيب والمريدين والعزابة وغيرهم ممن يحظى بالعطف والتقدير – داخل صفوف شريحة السؤال، ناهيك عن أولئك الذين كانوا يسالون الناس لأغراض سامية تكمن في إحداث نوع من التكافل الاجتماعي بتقديم الصدقات التي يحصلون عليها إلى غيرهم من الإخوان والفقراء والمساكين[289].

**التعاطف مع المتسولين:**

تند أمثال تلك الإشارات التي تفصح عن تعاطف هؤلاء مع الفقراء والسؤال وتقديم الصدقة لهم عن الحصر، ففضلا عما سبق من نصوص، تتوالى في كتب المناقب إشارات اخرى يمكن الاستئناس بها، يأتي في طليعتها تلك المعطيات العامة التي تتعلق بتفانى المتصوفة والصلحاء – في تلك الفترة– في تقديم الصدقات للفقراء والسؤال، فتتوالى الإشارات عمن وصف بأنه "ثمال" اليتامى والمساكين[290]"، وعمن كان "لا يرد سائلا [291]" وعمن كان" سمحا كل ما يملك للفقراء[292] " ، وعمن باع أملاكه "وتصدق بثمنها على الفقراء[293]" وعمن" انفق ماله كله في... إطعام ضعفاء المؤمنين والقيام بهم[294]، وعمن كان "كثير كان ، وعمن الصدقة[295] "، حتى انه أتاه احد وكلائه ذات يوم بسبعين دينارا من ضيعته فتصدق بها[296]."كثير الصدقة والمعروف مع قلة ذات اليد[297] ، وعمن اشتهر بكونه" يتصدق في السنة بالمال العظيم[298]" ، وعمن وصف بأنه كان "جوادا كريما مطعاما للطعام[299]"، وعمن دخل مدينة سوسة "بإلف مثقال فأنفقها[300]"، وعمن كانت عادته جبر الكسير وإعانة "الفقير[301]، وعمن كان يصل من قصده بالعشرات من الدنانير[302]، وعمن تصدق" مرة بمال نحو المائة دينار فأنفذه كله في الفقراء والمساكين" [303]، وعمن أوصى عند وفاته بان يتصدق عنه بكل شيء تركه[304] "، وعمن كان عادته إذا جاءته هدية من البادية أن يقسمها بين "الفقراء ومن تجب مواصلته"[305] ، وعمن اعتاد أن ينفق في كل عام عشرة أكياس من النقود "كل كيس فيه خمسمائة دينار مكتوب عليها مال الله [306] ، وعمن ولى قضاء القيروان وقتئذ ومعه ثمانون ألف دينار " فلم يقبل حتى تصدق بجميعها أيام قضائه[307]"

وثمة روايات عن أشخاص كانوا أصحاب مساهمات معروفة في بناء مجتمع الرحمة من خلال تقديم المساعدات لأبناء هذه الشريحة البائسة، فقد ترجم المالكي[308] لمغيرة بن أبي بردة الكناني (ق 2هـ / 8م) الذى كان كثير" الصدقة لا يرد سائلا سأله" وذكر انه كان كثيرا ما يوصى الوكيل المؤتمن على أمواله بكثرة الإنفاق على الفقراء ويذكره بمردود الصدقة الدنيوي من مضاعفة الأموال، والاخروى من عظيم الأجر وجزيل الثواب. وهو ما نجد له نظيرا في ترجمة أبى الحسن الكانشي الذي باع خمس سوان كانت عنده وانفق ما اجتمع من مالها "على المساكين وكان يعطى منها الخمسة والعشرة, والخمسة عشر [309]" . ويقدم الفقيه سحنون بن سعيد النموذج الامثل لتعاطف هذا القطاع الاجتماعي مع الفقراء والسؤال، ولا غرو فقد كانت تتعاظم عليه الديون"لكثرة صدقته[310]" رغم كثرة أملاكه.فقد

اشتهر بأنه كان يملك أصولا كثيرة من الزيتون وما يحصل من ذلك اخرج منه نصفه للفقراء[311]". وجاء على لسان تلميذه داود القطان انه باع "زيتونا بنحو ثلاثمائة دينار ودفع إلى ذلك فكان يبعث إلى البطائق يتصدق من ذلك المال الى ان "نفد[312] . واتخذ الصوفي إسماعيل بن رباح من إطعام السؤال ومشاركتهم فيه وسيلة للتقرب إلى الله وإظهار التواضع وكسر النفس، حيث اعتاد أن يعمد إلى "السؤال وأهل الطرق فيجمعهم إليه ويقرب الطعام إليهم فإذا رآهم أكلوا أكل معهم[313]"

كما كان التصدق على الفقراء وسيلة لإظهار التوبة وإعلان الندم على التفريط في جنب الله، فحينما اقترف الاباضي أبو زكريا بن أبي مسرور (ق 2هـ/ 8م) ذنبا سارع إلى التوبة المصحوبة بالصدقة فاخرج من مال نفسه للفقراء والمساكين [314]" ، وهو ما نجد له مثيلا عند رجل من بني يراسن كان قد أعلن توبته أواخر عمره – وكان موسرا– فأكثر من إخراج الصدقات والاعطيات للمحتاجين حتى إن أولاده رفعوا أمره إلى الفقيه صالح بن قاسم (ق4هـ /10م) يشتكون إتلاف أبيهم لماله وخشيتهم من أن يتركهم فقراء[315]

وكانت أوقات الشدائد والمجاعات من أكثر الدلائل كشفاً عن تجاوب هذه الشريحة مع السؤال، فحين وقعت بجبل نفوسة مجاعة شديدة عمد أبو عثمان المزاتى (200-205هـ) إلى غرفة موسقة شعيرا "فتصدق بها جميعا"[316] ، ووصفت كتب المناقب[317] أبا صالح جنون بن يميان بكثرة تصدقه على السؤال في مجاعة شديدة، حتى انه انفق على من أتاه من هؤلاء السؤال جميع ما في داره من التمر. ولم يقف عند ذلك الحد بل انه اشترى جملاً سميناً ونحره و قسمه على الضعفاء". وهو ما ينسحب على أبي عبيدة وشق الذي نفد ما في مطاميره من طعام نتيجة توزيعه على من كان يقصده من الفقراء في سنة قحط وجدب دارت عليهم[318] . وفي السياق ذاته تأتى ترجمة عبد الملك بن قطن المهرى، الذى اشتهر بكثرة صدقاته زمن المجاعات نموذج ذلك انه عمد إلى قمح مدخر عنده حين غلا القمح في عصره نتيجة أزمة اقتصادية، ووزعه على الفقراء والمستورين[319]. وبلغ حرص أبي مرداس الاباضى(200-250هـ) على مواساة المحاويج زمن الشدائد انه كان يشترى المؤن والأغذية أزمان الشدائد "ويؤذن للمساكين فيرفعون ما قدر لهم ولا يكيل لأحد[320] ، ولم يكتف بذلك بل كان يعد في بيته طعاما خاصا يعرف بالبسيسة ويجلس به في الطرقات فيعطى منه الضعفاء والفقراء والخدم[321]

ومن الفقهاء من اعتبر رد السائل صفر اليدين أمرا شديدا على النفس ، وهو ما تؤكده تلك الرواية التي تتحدث عن الفقيه أبي الحسن القابسي الذي أتاه ذات يوم سائل فلم يجد ما يعطيه إياه "فقال له: اقلع هذا الفرد باب وخذه ففعل ذلك السائل[322]

واظهر بعض الفقهاء والأولياء نوعا من التسامح والعفو وسعة الصدر تجاه خصوم لهم الجاتهم الفاقة إلى تعاطى السؤال خاصة زمن الشدائد، فحسب رواية الشماخي[323] كان الفقيه جنون بن يمريان (300-250هـ) عرضة للتطاول والأذى من قبل رجل فلما وقعت مجاعة واتاه ذلك المؤذى يسأله "تذكر فعله فزاده على ما يعطى غيره من المساكين". وفي السياق ذاته تأتى ترجمة الفقيه محمد بن سحنون الذي قصده في مجلس علمه سائل كان

قبل فقره شديد الإيذاء له، فاسترجع الفقيه حين رأى حالته، ثم اصطحبه إلى داره وأعطاه عشرين دينارا واجزل له[324] .

هكذا كشفت المعطيات الآنفة عن تعاطف مشهود من قبل الفقهاء والمتصوفة تجاه السؤال، بيد أن محاولة رصد موقف من سواهم من شرائح المجتمع تظل في التحليل الأخير صعبة المنال لشح النصوص وندرة الإشارات.غير أن ذلك لا يمنع من التكهن بان العامة كانت تنظر إلى تلك الشريحة بعين الحذر والارتياب والتشكك في مصداقيتهم، وأنها كانت تحمل عنها أحكاما مسبقة افرزها الاقتناع بان التسول حرفة[325]، مما دعى إلى التناصح فيما بينهم من الاحتراس من السؤال بسوء الظن[326]"، لاسيما وقد انخرط في صفوفهم بعض المحتالين وجامعى المال ممن" يأكلون أموال الناس بالمسكنة والصدقة" [327] ويجعلون السؤال بابا "من أبواب التكسب[328]") يتخذونه" ديدنا وعادة وحرفة وصنعة"[329] "يصطادون به أموال الناس[330] من خلال التظاهر بالفقر والمسكنة ، وتعزيز ذلك الادعاء بعاهات مصطنعة كـ" التعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل[331] . وهو ما تؤكد عليه أمثال الفترة الشعبية[332] . وهكذا ترد بعض الروايات التي تتحدث عن حرص البعض واحتياطه من السؤال، بل والاستهزاء بهم وتوجيه الإهانات اللاذعة إليهم[333]. فقد سجل عياض[334] مدى الصد الذي تعرض له احد السؤال من قبل رجل يدعى أبى إبراهيم كان وكيلا عن القاضى ابن طالب في ادارة معاصره ،حيث اتابه الضجر واعتلاه الغضب حين أتاه سائل يحمل اليه توصية من القاضى يشكو الفقر والإقلال،فأجابه مسرعا إنا لم نعصر بعد.. ما عندى ما نعطيك". وقدم الشماخي[335] في ترجمته ليبيب بن زلغين(200-250هـ) وتملى الوسياني إشارات يفهم منها إعراض بعض الناس عن إجابة السؤال.فقد اصطحب الأول رجلا في سفر فلقيا سائلة مسنة أجهدها الجوع حتى أشرفت على الهلاك فاستطعمتهما، فضن صاحبه واعرض عنها، مما دعى الفقيه أن يزيد لها في العطاء. كما انه نزل ذات مرة أمام خيمة فاعرض عنه أصحابها ظنا منهم انه سائل. وخرج الثاني في قافلة إلى احد بوادى افريقية "فاستطعم القافلة مسكين فلم يعباوا به". وعاين الفقيه القيرواني أبو ميسرة بن نزار (ت337هـ/948م) سائلا يطلب قطعة خبز من بعض بائعيه، فلم يطعمه أصحاب الخبز شيئا[336]" ووجه الفقيه ذاته اللوم لأحد طلابه حين رد سائلا دون عطاء أو كرم في الرد[337]

وقد يصل الإعراض عن منح الصدقة للسؤال درجة مشهودة تصل إلى حد عدم الالتفات إليهم وان اشرفوا على الهلاك، تؤكد ذلك رواية الدرجينى[338] التي ترجم فيها للفقيه أبي مرداس الذي شغلته صلاته عن إجابة سائل كان ينادى في الناس ويقول من يعطيني شيئا الليلة ينجينى" إلا أن استغاثته ضاعت سدى حيث اعرض عنه الناس حتى مات من الجوع، مما كان له ابلغ الأثر على نفس الفقيه، الذي اشتد غضبه من تلك الجفوة التي عومل بها السائل، فأصدر فتواه التي اعتبرت موت السائل من باب القتل الخطأ، ففرض الدية على كل من سمعه من الناس ولم يجبه . وهو ما نجد له نظيرا عند الشماخي[339] في ترجمته لعبد الله بن الخير (200-250هـ) الذى اغتم لأمر

عجوز كادت تهلك من الجوع فالجاه ضيق ذات اليد أن يسال لها رجلا من أغنياء منطقة زنابرت إلا أن الأخير كان بخيلا فأبى أن يعطيه شيئا رغم الإلحاح عليه في أمر تلك الهالكة.

**موقف الاغلبية والفاطمية من ظاهرة التسول:**

أما عن موقف السلطتين الاغلبية والفاطمية، فقد آثر رجالها العافية بالابتعاد عن التدخل المباشر في منظومة الظاهرة، حيث لا تكشف المصادر عن اضطلاعهم بمسئوليات ما تهدف إلى مواجهة ظاهرة التسول أو التخفيف غلوائها[340] من وكبح سلوك ممارسيها، أو على اقل تقدير محاولة تنظيم عملية التسول ومعاقبة الأغنياء والقادرين إذا ما أصروا على السؤال. إلا أن ذلك لا يمنع من الاعتراف ببعض الإجراءات التي قام بها حكام هاتين الدولتين للتخفيف من غلواء الفقر ومد يد العون إلى الفقراء والمساكين ــممن يندرج تحتهم السؤال ــ لا سيما أوقات الأزمات السياسية والاقتصادية. إلا أنها تظل في التحليل الاخير إجراءات تأخذ الشكل المحتشم والاعتباطي والاستثنائي، كردود أفعال تجاه مواقف معينة، دون أن تكون سياسة طويلة المدى، فضلا عن استهدافها في نهاية المطاف نوعا من الدعاية السياسية التي تهدف الى مصالح خاصة ومنافع معينة. فقد اعتاد حكام الأغالبة مثلا الخروج إلى جامع القيروان في ليلتي النصف من شعبان والنصف من رمضان لمنح العطايا والصدقات[341]. ولما انتصر محمد بن الأغلب على أخيه احمد عام 232هـ 846م واسترد ،ملكه تتابعت اعطياته وصدقاته على الفقراء وغيرهم حتى كادت أن تنفد خزائنه[342]. وحين حث الفقيه عبد الجبار السرتى الأمير الاغلبي إبراهيم بن احمد على مشاركة الفقراء في وليمة أعدها لختان أولاده اخرج كيسا فيه خمسمائة دينار وأمر بتفريقه على الفقراء والمساكين[343].وفي عام 289-901 استقام أمر عبدالله الشيعى فأراد الأمير ذاته استمالة القلوب لمواجهة ذلك الخطر فسمى ذلك العام عام العدل، واخرج أموالا كثيرة وأمر بتفريقها في الضعفاء والمساكين[344]". وحينما اضطربت الأوضاع واختلت الأمور على زيادة الله الأخير نتيجة سياسته الهوجاء أراد استرضاء الناس فكان يجلس في قبة العرض بقصره حيث يجتمع إليه الفقراء والمحتاجون ليعطيهم ويصلهم [345]

أما عن الفاطميين، فقد أدرك أول حكامهم المهدى ضرورة استقطاب الناس بإظهار العدل والإحسان فبسط في الفقراء الأموال[346] وحين اشتد حصار الثائر الخارجى أبى يزيد على أهل المهدية أمر القائم بفتح أهراء الطعام المخزون وفرقها على الناس وفي جملتهم الفقراء والمساكين[347]". وهو ما نجد له نظيرا في عهد المنصور الذى خفف عن أهل مدينة سوسة معاناتهم من حصار أبي يزيد فوجه إليهم مراكب مشحونة بالطعام فتم تفريقها بين الفقراء والمساكين والمستورين[348]. أما المعز الفاطمي فقد تجلت عنايته بالفقراء والمساكين عندما جاءته البشرى بفتح قائده جوهر لمصر فتصدق عليهم بمال عظيم وأمر الأعيان من أهل دولته بإعالتهم[349] ، ويفهم من إشارة أوردها ابن سحنون[350] أن ولاة الفاطميين قد اعتادوا صنع طعام للمساكين والأيتام يفطرون عليه في المساجد خلال شهر رمضان.

**ملابس المتسولين:**

تلح المعطيات المصدرية على التأكيد على نوعية خاصة من الملابس كان يرتديها السؤال، حيث تتناثر في تلك المصادر عبارات عن "زى سائل[351]" و" زى شحاذ[352] و "زى السؤال[353] "و"زى المكدين[354]" وزى زوار[355]"، ولا شك أنها كانت في الغالب الأعم مهلهلة مرقعة غاية في الإزراء والامتهان[356]. ففي إشارة غاية في الدلالة ذكر الرازي [357] أن الهارب العلوى إدريس بن عبد الله دخل بلاد المغرب فارا إليها بعد موقعة فخ متنكرا فطرح ثيابه واتخذ شملة وخرج في هيئة رثة تشبه هيئة السؤال". وفي ترجمته للفقيه المغربي بقى بن مخلد ذكر الذهبي[358] انه لم يتمكن من الأخذ من الإمام احمد حنبل أيام الفتنة إلا انه كان يتنكر في زى سائل فيمسك بيده عصا ويلف رأسه "بخرقة مدنسة". ولا شك أن الظهور بتلك الهيئة المذرية كان أمرا متعمدا من قبل السؤال يهدف في الأساس استقطاب عطف الناظرين وتحريك مشاعر الشفقة تجاههم[359] فقد ترجم الشماخي[360] لرجل اباضى يدعى وليد بن جرطوم (ق 3هـ/9 م) والذى كان لا يبالى أول أمره في اخذ أموال الناس عن طريق السؤال فكان يتعمد لبس المزرى من الثياب ، فلما تاقت نفسه إلى التسامي والامتناع عن السؤال "بادر من حينه فغسل ثيابه وجلس يتذكر ما أكل من أموال الناس".

ويبدو أن أصحاب تلك الخرق كانوا اسعد حالا ممن سواهم من السؤال الذين كانوا يفتقدون إلى ما يوارى عرى أجسادهم من أمثال ذلك السائل الذي لقيه القاضي ابن طالب بأحد شوارع القيروان وبصحبته " أربع بنات عاريات .... [ف] طلب له أربعة اقمصة وأربع غلائل وأربع دهاقن[361]"

بدهى ان يمثل الشتاء لتلك النوعية من السؤال عناء لا يوازيه عناء، مما كان له ابلغ الاثر في استجلاب عطف الناس ، نجد لذلك نموذجا عند عياض[362] في ترجمته للقاضى القيروانى ابن طالب الذي تحركت في نفسه الشفقة تجاه فقير أبصره في احد ليالي الشتاء القارص وليس على جسده ما يحميه من شدة ذلك البرد فنزع " فروه وبعض كسوته عن جسده وكساه" . وهو ما تكرر في ترجمة الفقيه القيرواني هاشم بن مسرور الذي عاين وهو في طريقه الى الحمام سائلا عجوزا يلف جسده العارى بحصيرة وهو يصيح ويرتعد من شدة البرد، فعدل الفقيه اليه ورمى الفرو والقميص عليه وجلله بالمنديل ودفع إليه السطل والمنزر[363]"

واذا ما جادت المصادر بتلك الإشارات الطفيفة بخصوص ملابس السؤال فإنها ضربت عن الجوانب الاخرى من حياتهم الخاصة الذكر صفحا إذا ما استثنينا تلك الإشارة التي وردت في صورة أدبية في إحدى مقامات الحريري[364] تصف طرفاً من هذه الحياة البائسة نقلها المؤلف في المقامة المغربية عن الحارث بن همام الذي اخبر انه دخل بلاد المغرب و التقى سائلاً بأحد مساجد المغرب يحمل جرابا يجمع فيه الطعام لأولاده الصغار الذين يتضورون جوعا من شدة المخمصة، حيث اخذ ذلك السائل في وصف حاله المتردى بقوله عن ذاته انه "شريد محل قاص، وبريد صبية خماص" . وحين اعتذر له الحاضرون عن عجزهم عن توفير طعام مناسب لتأخر الوقت أجابهم بأنه يقنع منهم " بلفظات الموائد ونفاضات "المزاود ، وحين اعجب الحاضرون بطلاوة حديثه، جمعوا له ما استطاعوا من طعام،

وارسلوا بصحبته خادما يضمن لهم عودته اليهم مرة اخرى وما ان عاد الخادم اليهم حتى اخذ في وصف دار ذلك، وكيف انها كانت غاية في الازدراء والخراب خاوية من أدنى نوع من الأثاث.

## خاتمة البحث

يتبين من خلال الحصاد النهائي للمادة العلمية المتعلقة بظاهرة التسول في افريقية الاغلبية والفاطمية أن النصوص القليلة المتناثرة بين المظان لا تؤهل الباحث لكتابة تاريخ متماسك عنها في تطوره الزماني والمكاني، إذ لا تتوفر فيها نصوص ذات بال تساهم في الإحاطة بمختلف جوانب هذا العقل، وعليه فان تلك المحاولة بحكم تواضعها لا تهدف إلى وضع نقطة النهاية على الموضوع بقدر ما تستهدف فتح ذلك الملف من تاريخ ظاهرة التسول في بلاد المغرب على نحو عام وافريقية على نحو خاص ، لا سيما وأن المجال متسع للإجابة عن كثير من التساؤلات الملغزة التي عجزت الدراسة عن الاجابة عنها لعل من أهمها: التساؤل عن شريحة السؤال بين تصور الذات ورؤية الآخر، بمعنى كيف رأى السؤال ذواتهم، وكيف كانت نظرتهم للمجتمع الذى تسبب في تدجينهم داخل ذلك الموقع المتدنى في قاعه، وما خصائص الواقع المعيشي للسؤال من حيث وصف الذات ونوعية المأكل والملبس والمسكن وطبيعة الحياة الأسرية ونوعية العلاقة ؟ وهل اقتصر السؤال على ممارسة التسول أم مارسوا بجواره مهنا أخرى؟ وما وسائل الانعتاق من حياة البؤس والشقاء؟ وما دور المؤسسات الاجتماعية في التخفيف من الفقراء وما مدى استفادة السؤال منها؟ وما دور السلطة في الحد من الظاهرة؟ وإذا ما كان موقفا سلبيا فلماذا لم يقف سؤال افريقية على كثرتهم موقفا ثوريا إزاء أوضاعهم المتردية؟ وهل يعود ذلك إلى سمة الخضوع والإذعان التي سيطرت على شخصياتهم نتيجة الموقع المتدني في قاع المجتمع أم الى غياب الوعى الفكري، أم الى الشعور بالانهزامية أمام سطوة السلطتين الاغلبية والفاطمية اللتين نجحتا في قمع أعتى الثورات, أم الى الانشغال بالهموم الحياتية عن التفكير في التمرد والعصيان؟

ورغم القناعة بصعوبة الاجابة عن تلك التساؤلات وتعثر البحث فيها فإن الأمل معقود على جهود الدارسين فضلا عن كشف مادة جديدة قادرة على وضع حد لهذا الصمت التاريخي لتلك الفئة المهمشة.

**إلا انه يمكن التوصل إلى بعض النتائج التي أفرزتها الدراسة ومن أهمها:**

1. ثمة مفارقة ملحوظة يجب ادراكها بين التسول الاضطراري الذي سببته عوامل ظرفية وهيكلية أفرزت شريحة عجزت – لأسباب معينة عن تحصيل عيشها بالاندماج في عملية الانتاج فاتخذت من التسول وسيلة لسد رمق الجوع وستر عورة البدن، وبين التسول الاختياري الصوفي الذى اعتبره الصوفية وسيلة من وسائل التقرب

الى الله وتربية النفس، من خلال تكريس فاعلية الارادة لكسر الشهوات والانعتاق من اسار العبودية لها باتجاه تحقيق الذات العارفة بالله المتبحرة للحقيقة، مما جادت به أبياتهم.

2. انطلاقا من الرؤية التى تؤكد على ان الجذور العميقة للفاقة تكمن في البوادي بينما تظهر نتائجها المأساوية في المدن أثبتت المادة المصدرية المتاحة أن التسول بأفريقية كان ظاهرة حضرية في الأساس، ارتبطت بتلك الهجرة الطبيعية لأهل البوادي الى المدن وقت الازمات والشدائد . فضلا عن ان المدن كانت هدفا للسؤال لتحقيق اعلى مردود مادى يسعون الى الحصول عليه، ولعل هذا ما انتبه اليه ابن خلدون حين قرن بين ظاهرة التسول وبين عمران المدن. كما انه لا يمكن اغفال فضلا عامل اخر يرتبط بطبيعة المصادر التي تم استقاء المادة منها والتي تتصف بانها كانت مدينية في أصلها بشكل طاغ، ناهيك عن طبيعة الموضوعات التي تناولتها، وهى مسلمة لا ندعى انفراد

3. افريقية بها دون غيرها من المجتمعات الاسلامية في العصور الوسطى.

4. ان التسول في افريقية خلال فترة البحث لم يتعد شكله الفردي المغاير للتسول الجماعي المنظم الذى شاع بالمشرق والاندلس خلال الفترة ذاتها، والذى حكمته مجموعة من القواعد المتوارثة قوامها التفنن في الحيل وتلون أشكال الخديعة، حيث خرجت أدوات التسوّل وأشكاله عن مقاصد الحاجة والعوز وانتقلت مبرراته من (الدفاع عن الحرمان ومجابهة قسوة الظروف الحياتية إلى شكل من أشكال الأداء اليومي لفئة متخصصة في جمع المال ومحاولة (اقتناصه)، ولم تعد (الشحدة) الاسم الأصلي للتسوّل – وسيلة الفقراء للحصول على رزقهم أو ما يكفي من الرزق؛ بل غدت مهنة لفئة استطابت البحث عن المال بأدوات تفاوضية فطرية قريبة من النمط الاجتماعي السائد، والمستند إلى الاستجابة العاطفية لشكاوى الناس ومظاهرهم الجسدية.. ، وهو ما يفسر خلو كتب الحسبة الافريقية مما أفاضت فيه كتب الحسبة المشرقية والاندلسية عن فضح أساليب السؤال والتحذير من خدعهم والتنبيه على المحتسب لتعقبهم وتأديبهم، ويمكن الاستناد في تفسير ذلك إلى فعالية البنية القبلية التى حكمت أنماط الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب عموما وحافظت إلى حد كبير على إدماج الفرد داخل الجماعة وألزمت الجماعة بحمايته وتوفير سبل العيش له.

5. على الرغم من عجز الباحث عن عقد مقارنة بين ظاهرة التسول في العصر الاغلبي وبين مثيلتها في العصر الفاطمى استناد إلى المنهج الاحصائي – للتداخل الكبير بينهما وعدم القدرة على تحديد العصر الذى عاش فيه السائل –والذي لا يكفي في الكشف عنه ذكر سنة صاحب الترجمة لاحتمالية معاصرته للفترتين المذكورتين – الا انه يمكن التكهن بشيوع الظاهرة في العصر الفاطمى عنها في العصر الاغلبي، وهو ما يمكن تفسيره بطبيعة الدولة الفاطمية التي اتبعت سياسة مالية تهدف في الأساس إلى جمع اكبر قدر من الموارد، ومارست مع مخالفيها سياسة التجويع وأرهقتهم بالعديد من ألوان الضرائب والجبايات وتفننت في إفقارهم، فضلا عما وصف به هذا العصر من كثرة الفتن والاضطرابات السياسية والاهتزازات الاقتصادية .

## حواشي البحث

(1) عن حضور لفظة "التسول" في مجتمع افريقية خلال فترة الدراسة انظر الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج1، ص 373.

(2) إخوان الصفا: الرسائل، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957، ج1،ص 320.

(3) يكفي الإشارة في هذا الصدد إلى ما كان شائعا بين الناس آنئذ من أن: "الفقر راس كل بلاء وداعية لمقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة، مذهبة للحياء، فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بداً من ترك الحياء، ومن فقد حيائه فقد مروءته، ومن فقد مروءته مقت ومن مقت أذرى به"، انظر الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2 1986، ج 2، ص 95

(4) يرد في هذا السياق قول الخليفة العباسي المأمون : " الناس بين أربع طبقات: إمارة وتجارة وصناعة وزراعة. فمن لم يكن من هؤلاء كان كلاً علينا" الثعالبي : التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء التراث العربية، القاهرة، 1961، ص 600 . وفى المعنى ذاته تأتى نصيحة احد مستشارى الأمير الاغلبي زيادة الله الثانى له بقطع الصلات عن الفقراء لمواجهة الخطر الشيعى بقوله : " والله ما كانوا إلا كلا عليك يرتزقون أموالك .. أراحك الله منهم وحمل عنك مؤنتهم" فأجابه الأمير " القول ما قلت انظر ابن حيون المغربي: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق: وداد القاضي، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970 ، ص ص 122-123.

(5) مدح احد الشعراء شريفا بقوله: وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لِامْرِيءٍ بَذْلُ وَجْهِهِ ... إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ انظر الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1995، ج2، ص 360. وكان مما تعارف عليه الناس عصرئذ انه : " لو لم يكن في السؤال خصلة تذم إلا وجود التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن لو أضطره الأمر إلى أن يستف الرمل ويمص النوى أن لا يتعرض للسؤال أبدا" ابن حبان البستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية – بيروت، 1977 ، ص 148 . وان فى "السؤال .. المذلة وهتك المروءة" ،الغزالي: إحياء علوم الدين، تقديم وتعليق بدوى طبانة، مكتبة ومطبعة "كرياطة فوترا"، سماراغ، (د.ت)، ج 2، ص 66.

(6) يُذكر أن رسولاً من قبل دولة الروم ورد بغداد زمن الخليفة العباسي المنصور فشاهد فيها جماعة من ذوى الزمانة والعاهة يسألون الناس . فاتخذ ذلك المشهد مادة للتندر والسخرية والتهكم من السلطة العباسية . انظر صلاح الدين المنجد: الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس، بيروت، 1969، ص 86 .ثم انظر كيف استنكر احد ادباء البصرة سؤال آخر له عن عدد السؤال ببلده ، واعتبره أمرا مشيناً فبادره مجيبا بأنهم مثل عدد البغائين ببلد السائل انظر: ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،لبنان،(د.ت)، ج4، ص 345.

(7) اذا كان الجاحظ من اهل القلم المشارقة – قد انصف اهل هذه الشريحة حين وضع مؤلفا بعنوان المكدين (انظر كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1990 ، ص 366 ، فضلا عن النصوص المبثوثة فى بطون كثير من مؤلفاته فانه يمكن استثناء ابن خلدون من بين مؤرخى المغرب – من تلك القاعدة حين خص التسول بالتفاتة مهمة – رغم محدوديتها – رابطاً إياه بعمران المدن، من خلال عقده مقارنة لطيفة بين متسولى فاس ومتسولى تلمسان ووهران انظر المقدمة تحقيق على عبد الواحد وافي الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006 ، ج 2، ص ص 804 ، 805. وحسب إشارة عند ابن الأحمر ألف خطيب القرويين الفقيه محمد بن يوسف المزداغي (ت 655هـ / 1257م) مقالة بعنوان" فيما يجوز للفقراء المضطرين فى أموال الأغنياء "المغترين" ربما تعرضت للحديث عن التسول والسؤال إذ أنها في عداد المفقود . انظر : بيوتات فاس الكبرا دار المنصور ، الرباط، ص ص 8-9

(8) انظر كيف ربط المقدسي مثلا بين التسول والفاحشة في مقدمة كتابه بقوله" لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبا غير الكدية وركوب الكبيرة" أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم مكتبة مدبولى، ط19913، ص44 . وسجل احدهم القول بان" السؤال يورث المرء مهانة في نفسه ويحطه رتوة عن مرتبته ابن حبان البستى المصدر السابق، ص145.

(9) الصفدى: الوافي بالوفيات، تحقيق : احمد الارناؤود وتركى مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج12، ص206.

(10) إخوان الصفا: المصدر السابق، ج 1، ص 248 .

(11) التوحيدى: البصائر والذخائر ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت، دار صادر 1988، ج1،ص ج 21، ص 511.

(12) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط9 1413هـ،

(13) ملا عبد القيوم كشف الزور والبهتان من صنعة بني ساسان، مخطوط بمكتبة الازهر ، تحت رقم 189/ام-حسنين 57729، ورقة2.

(14) ابن أبي يعلى طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقى، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 253، ملا عبد القيوم:المصدر السابق، ورقة2.

(15) التوحيدى: الهوامل والشوامل ، نشر احمد امين والسيد صقر الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم (68)،1951،ص 301.

(16) ابن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ج2، ص 343.

(17) الجوبرى: المختار في كشف الأسرار، شرح وتعليق محمد التونجى، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، الكويت، 1996، ص71.

(18) الابشيهى: المصدر السابق، ج 2، ص 115، القرطبي : قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة، تحقيق: مجدى فتحى السيد، دار الصحابة للتراث، 1989، ص ص 20 ،170

(19) عبد عبد الواحد المراكشي: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، 1994،ص126.

(20) ابن حجر : لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986، ج1،ص89.

(21) المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ج 1، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1951،ص264، القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص 594، ابن عبد الرؤوف رسالة فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفى بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص 113.

(22) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمرى، دار الفكر، بيروت، 1995، ج13،ص104.

(23) ابن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي ،القاهرة، 1975، م4،ص75.

([24]) ابن الخطيب: المصدر السابق، م 3 ، ص 130، الثعالبي يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج3، ص35.

([25]) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ج2، 1978، ص594.

([26]) البرزلي: فتاوى البرزلي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي،ج4،ص217.

([27]) محمد بن سحنون: كتاب الاجوبة، تحقيق: حامد العلويني، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، س ، 2000م، ص 101، ابن بسام المصدر السابق، ج 10، ص282، البرزلي: المصدر السابق، ج 4، ص 218، ابن فرحون تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1301هـ، ج 2، ص 165

([28]) النفراوي : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: رضا فرحات ، مكتبة الثقافة الدينية،(د.ت)، ج3،ص 1077.

([29]) ابن نجيم الحنفى الاشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج2، ص213.

([30]) احتفى التراث الادبى المشرقي منذ أمد بعيد بشريحة السؤال منذ افرد لهم الجاحظ ، رائد الفلكلوريين العرب، وغير الجاحظ كثير –كتبا قائمة بذاتها في المكدين وأصنافهم وطوائفهم وحيلهم وأساليبهم وآدابهم الاجتماعية وتقاليدهم المهنية وتراثهم الفنى من أشعار وحكايات ونوادر وأخبار وأقوال مأثورة فيما يعرف فنيا بأدب المكدين، مما هيء مادة خصبة وثرة شجعت المحدثين على دراسة ظاهرة الكدية من منظورها الادبى والفلكلورى والانثروبولوجي. انظر على سبيل المثال حسن إسماعيل عبد الغنى ظاهرة الكدية فى الأدب العربى نشأتها وخصائصها الفنية، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1991، احمد حسين أدب الكدية في العصر العباسي، دار الحصاد للنشر التوزيع، دمشق 1995، كذا كتابه أشعار الشحاذين في العصر العباسي، دار الجليل، دمشق، 1986، ثم تابع دراسة

Bosworth C.E.,The Medieval Islamic Underworld:The Banu Sasan in Arabicsociety and literature,Leiden,1976

([31]) يستثنى منهم فيما اعلم – الباحث المغربي إبراهيم القادرى بوتشيش الذي خص شريحة المتسولين في المغرب والأندلس في عصرى المرابطين والموحدين، بدراسة معتبرة كشفت النقاب عن بعض جوانب حياتهم ومهدت الطريق لدراسى ظاهرة التسول وشريحة السؤال ، انظر كتابه: الإسلام السرى في المغرب، دار سينا للنشر 1995، ص ص 161-171 .

([32])حددت مصادر الفترة الجغرافية حدود افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة إلى بجاية وقيل إلى مليانة انظر المقدسي: المصدر السابق، ص ص 216 217 ، البكرى: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامى، (د. ت)، ص 21، الحموى: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت،(د.ت)، ج 1، ص 228.

([33]) يبدو ان ذلك كان حاضرا في مخيلة مؤرخى تلك الفترة، فقد وضع محمد بن سعدون(ت 485/1092م) مؤلفا بعنوان "تعزية اهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب "الازمان ابن عذارى كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج 1، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 ، ص 281.

([34]) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج 9، ص 303. الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1995، ص 239.

([35]) انظر ابتسام علام: الجماعات الهامشية – دراسة انثروبولوجية لجماعات السؤال بمدينة القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، 2002 ، ص ،14، فراج سيد محمد ظاهرة التسول بين التعاطف المجتمعى والعقاب القانونى – دراسة ميدانية، فصلة بمجلة الفكر الشرطي، الشارقة، مجلد 14، عدد (1) ابريل، 2005،ص207.

([36]) لم تكن تلك الرؤية لتخفى عن بعض القدماء من الكتاب ممن ادركوا العلاقة التلازمية بين التسول وبين تلك الأبعاد المذكورة، انظر بخصوص ذلك التوحيدى: كتاب الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه احمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت(د.ت)، ج 3، ص ص 92-96 ، ابن كثير : البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ت)، ج 14، ص208.

([37]) قل أن خلا عقد من عقود فترة الدراسة من سنة أو سنوات قحط وجفاف تسببت في الإضرار بالإنتاج الزراعى والحيواني وشل الأنشطة الاقتصادية المعتمدة عليهما. انظر تفصيلا لذلك عند ابن حيون المغربي: المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقى وآخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996، ص532، المالكي: المصدر السابق، ج1، ص228 ، ج2 ، ص ص ،129 ، 150، القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص489، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص117، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي قسنطينة، 1974، ص ص 116 ،161 ،357 ،422 ، الذهبي : المصدر السابق، ج18، ص 311 ، الشماخي: كتاب السير " الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب"، تحقيق: محمد

حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس السلسلة 4 ، المجلد 30 ، 1995، ص ص ،29 ،79، 86، 118، 141، 146، 157، 178، 227، 249، 288، 356 ، الونشريسي ، المصدر السابق، ج9، ص384.

([38]) ابن ابي زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط. دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط 1973، ص 100 ، ابن خلكان المصدر السابق، ج 1، ص235.

([39]) المقريزى المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، 1991، ج2، ص176، ابن ابى زرع: المصدر السابق،ص100، 102.

([40]) المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 203، ، ابن الابار : الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس،دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، ج1،ص111، ابن ابى زرع: المصدر السابق، ص102 ، الدباغ: معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، تحقيق: ابراهيم شبوح وآخرين، مكتبة الخانجي، مصر، 1968 ج2، ص 60

([41]) ابن حيون المغربي: المجالس والمسايرات،ص ص290-291، ابن الابار: المصدر السابق،ج1،ص302.

([42]) الوسياني: . سير أبي الربيع الوسياني، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 9113ح ميكروفيلم 3271، ورقة 16، 123، 174، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 128، 158، 313، 380 ، عياض: المصدر السابق، ج2، ص201، الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، . 292 ، ابن ابى زرع: المصدر السابق، ص ص ،96-100 332، الشماخي: المصدر السابق، ص ص صص 233 235 ، الونشريسي المصدر السابق، ج9، ص384.

([43]) الرقيق القيرواني: قطعة من تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي وعز الدين موسي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990،ص88، الخشنى: قضاة قرطبة وعلماء افريقية، تحقيق: السيد عزت العطار، مكتبة المثنى، بغداد، 1372هـ، ص 249 ، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1،ص ص 60، 117 الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص440، ابن ابي زرع المصدر السابق، ص97، 98، 100، النويرى: نهاية الارب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: حسين نصار، ط. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983، ص65.

([44]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص203، الدرجيني: المصدر السابق، ص 368 ، ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص97.

([45]) ابن ابى زرع: المصدر السابق، 101، 102.

([46]) عن الاثر السلبي للمواجهات العسكرية على وضعية ساكنة افريقية الاقتصادية والاجتماعية خلال العصرين الاغلبي والفاطمي انظر الازموري: بهجة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ،437، تاريخ، ورقة 39 ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص ص 59، 61، 75، 123، ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 77 ، الداعى ادريس : تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب "من كتاب عيون الاخبار وفنون الاثار " ، ج5، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس، 1979 .ص.108

([47]) اللبيدى و الفارسي: مناقب ابى اسحاق الجبنيانى ومحرز بن خلف، تحقيق: روجيه ادريس، باريس، 1959، ص ص111،64،الخشنى: المصدر السابق، ص222، الداودى كتاب الاموال تحقيق رضا محمد سالم، ط. مركز إحياء التراث المغربي، الرباط،، (د.ت)،ص ص 154، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 238، ج 2، ص 368، الشماخي المصدر السابق، صص254، 297، ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص810، النويرى: المصدر السابق، ج24، ص ص 106،117، الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص ص 559، 564.

([48]) محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص 123، المالكي: المصدر السابق ج 1، ص ص217، 220، 219،اب عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 76، الشماخي: المصدر السابق، ص39، النويرى المصدر السابق، ج24، ص ص ،24، 81، الداعى ادريس: المصدر السابق،ص151، : المقريزى اتعاظ الحنفا في ذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط. دار الفكر العربي،،1948ج1،ص ص77، 79، 80.

([49]) عن انتشار ظاهرة اللصوصية انظر أبو القاسم البلوى: العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 154 بعثة المعهد الأولى إلى المغرب، ورقة 169 البرادي الجواهر المنتقاه فى إتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأبي العباس الدرجيني، مخطط بالهيئة العامة للكتاب، تحت رقم ( 8456 ح عربي، ميكروفيلم 15843، ورقة 3، الخشنى: المصدر السابق، ص226 ، المالكي: المصدر السابق، ج1،ص ص 245، 314، عياض: المصدر السابق، جـ 3 ، ص ،352 ، الدرجيني: المصدر السابق، ص 126 ، الونشريسي ، م.س، ج2، ص301، ج6، ص 155، ج 7، ص ص 218-220.

([50])المالكي: المصدر السابق، ج2، تحقيق: ج2، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1994،2م، ص397، عياض: المصدر السابق، ج2، ص502.

([51]) عن التلازم بين ترف الحكام وفقر الرعية في إطاره النظرى يقول ابن خلدون: "ان طبيعة الملك تقتضى الترف... فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفى دخلهم بخرجهم ، فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق عطائه بترفه" انظر المقدمة، ج 2، ص 533 . وسجل في موضع آخر ان استمراء الحكام لحياة اللهو والترف وخروجهم عن القصد الى الإسراف يترتب عليه ذهاب مكاسب الرعية فيتتابعون اثر ذلك "في الإملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر.. فتكسد الأسواق ويفسد حال المدينة" نفسه، ج2، ص818، وحين أراد أن يضرب مثلا يثبت به صحة رؤيته لم يجد أفضل من افريقية فترة الدراسة معقبا بقوله " واعتبر حال هذا الرفه فى قطر افريقية ...كيف تلاشت عمران اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة"، نفسه، ج 2 ، ص 811 . وعن مظاهر الترف عند حكام افريقية ومتنفذيها خلال تلك الفترة انظر ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 114 ، الذهبي : المصدر السابق، ج 12، ص 540، الصفدى: المصدر السابق، ج 15، ص 13.

([52]) ابن حيون المغربي: افتتاح الدعوة، ص120، ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص ص 114، 119، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص149، النويري: المصدر السابق، ج24، ص127.

([53]) الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 107، المالكي المصدر السابق، ج 1، ص ص 228 ، 314 ، عياض: المصدر السابق، ج3، ص364، ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 117 الذهبي : المصدر السابق، ج 15، ص 161 ، النويرى: المصدر السابق ج24، ص 130، المقريزي : المقفى، ج 6، ص 178 .

([54]) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت،(د.ت)،ص47، ابن خلدون : المصدر السابق، ص 804.

([55]) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق: نزار رضا مكتبة الحياة، بيروت(د.ت)،ص198.

([56]) اخوان الصفا: المصدر السابق، ج1،ص320.

([57])المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة، نشر: مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة 1940، ص 75، ابن الجزار القيرواني: طب الفقراء والمساكين، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 2005، ص 30 ، ابن خلدون المصدر السابق، ج2، ص ص 722، 804.

([58]) ابن عبد الملك : المصدر السابق،س1،ص47.

([59]) المالكي: المصدر السابق، ج 1،ص332، ج2، ص 149.

([60]) اخوان الصفا: المصدر السابق، ج 1، ص45، الدرجيني: المصدر السابق،ص161.

([61]) الشماخي: المصدر السابق،ص333.

([62]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص148.

([63]) ابن الخطيب: المصدر السابق، م3،ص272.

([64]) ابن عربي: محاضرة الابرار، القاهرة، 1282هـ، ج 1، ص180.

([65]) التادلي: مناقب ابى يعزى، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 2041 تاريخ ورقة 108 الفشتالى وثائق الفشتالى، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 361 فقه ،تيمور ميكروفيلم 49434 ورقة 100.

([66]) تتناثر في بطون المصادر اشارات عدة عن قوم من اهل القيروان كانوا اغنياء فافتقروا. . إبان الشدائد" عياض: المصدر السابق، ج2، ص308، و آخرين كانوا"امليا‌ء افتقروا"، المالكي: المصدر السابق ،ج 2، ص 292 . وعن رجل كان في حالة سنية ورفاهية فرآه البعض اثر نازلة شديدة " في حالة ركيكة وثياب رثة ، الدرجينى: المصدر السابق، ص 390 . وعمن كان موسرا وله ابناء فاتلف المال وتركهم فقراء" ، الدرجيني: المصدر السابق،ص360، وعمن" افتقر. . واشتد عليه الحال"، الدباغ: المصدر السابق ،ج2، ص129، وعمن كان يمتلك الكثير من البقر والغنم والذخائر والطعام والزيت فذهب جميع ما ذكر ابن حيون: المجالس والمسايرات ص 337 . وعمن كان من أعيان جبل نفوسةف"وصلت اليه الحاجة في اخر عمره" ، الشماخي: السير، ص265، وعن رجل جزار من اهل القيروان رفع الى الفقيه جبلة بن حمود الصدفى (ق3هـ) الخبر "بفلسه وفقره فجعل يتحنن عليه"، الخشنى: المصدر السابق، ص 196. وآخر كان من اهل النعم ثم امتحن فى اخر عمره... فانكشف واكب عليه الغرم والاقلال وانصرف فارغ اليدين من ماله ، الخشنى: المصدر السابق، ص 223

([67]) ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص138، المالكي: المصدر السابق، ج1، ص332، ابن خلدون: المصدر السابق، ج2،ص810.

([68]) الذهبي: المصدر السابق، ج 15، ص161.

([69]) النويري: المصدر السابق، ج28، تحقيق محمد محمد امين ومحمد حلمى محمد،مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992، ص121 ،وهو ما تتساقط أمامه الدعاية الساسية التي روج لها بعض الخلفاء الفاطميين من أنهم لم ينالوا من الدنيا إلا دون ما يناله كثير من سائر الناس فيها وانه قلما يوجد سائل فى عصرهم. انظر طرفا من تلك الدعاية عند ابن حيون المغربي: المجالس والمسايرات ، ص ص 1424، 137.

([70]) الخشنى: المصدر السابق، ص 248 ، 246 ، المقري نفح الطيب فى غصن الاند الرطيب ، تحقيق: احسان عباس دار صادر، بيروت، 1388هـ، ج 1، ص 223.

([71]) الخشنى: المصدر السابق، ص301، الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص401.

([72]) اللبيدى: المصدر السابق، ص 24، ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص 71 ، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 81، 138 ، الدرجينى: المص السابق، ص 161، الشماخي: المصدر السابق، ص260.

([73]) من امثال الفقيه احمد بن خالد بن على البرقي (ت ق3هـ) الذى اجتهد في وضع مؤلف بعنوان كتاب التراحم والتعاطف" انظر الصفدي: المصدر السابق، ج 7، ص255.

([74]) المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص361، عياض: المصدر السابق، ج2،ص122.

([75]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص199.

([76]) نفسه .

([77]) المصدر السابق، ج 1، ص ص 256-257.

([78]) وهو ما نبه اليه العلامة ابن خلدون حين تحدث عن بوادى المغرب وذكر ان اهلها " ضعفاء الأحوال متقاربين في الفقر و الخصاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضروراتهم و لا يفضل ما يتأثلونه كسبا فلا تنمو مكاسبهم و هم لذلك مساكين محاويج إلا في الأقل النادر و اعتبر ذلك حتى في أحوال الفقراء و السؤال " انظر ابن خلدون المصدر السابق، ج 2 ، ص 804 . ثم تابع حول هذه المسالة دراسة: Talbi (M):"droit et esclaves dans . 191-188. économie in ifriqia au 111 1xe siécle,le paysage agricolle et le rôle des l'economie du pays", pp مقال "بكتابه" دراسات فى تاريخ افريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، منشورات الجامعة التونسية ، سلسلة 4 ، مجلد 26، 1982.

([79]) البرزلي: ج 3 ص ص 144 ،564 ،646-648.

([80]) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم مسائل نفوسة، تحقيق: وترتيب ابراهيم محمد طلاي، ط. غرداية، 1990، ص79، محمد بن سحنون : المصدر السابق، ص 105 ، ابو العرب تميم طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي و نعيم اليافعي، ط2 الدار التونسية للنشر، 1985، ص148، الداودي: المصدر السابق، ص 156 ، المالكي: المصدر السابق ،ج 2، ص 51 ، الدرجيني: المصدر السابق، ص422، الشماخي المصدر السابق، ص ص 157 158، 227.

([81]) نبه علماء الاجتماع الى ان الجذور العميقة للفقر والحرمان تكمن في البوادى والارياف الا ان نتائجها الماساوية تظهر جليا في المدن والحواضر. انظر بهذا الخصوص : Mollat (M):les pauvres au Moyen .286-287 Age.éd.complexe,Bruxelles,1992,pp

([82]) المغيلي الماذوني : الدرر المكنونة في نوازل ماذونة، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 186 فقه، ج 2 ، ورقة 6 ، عبد الوهاب بن رستم:المصدر السابق،ص79، الونشريسي: المصدر السابق، ج1،ص366.

([83]) الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص107، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1،ص76.

([84]) اللبيدى: المصدر السابق، ص20، الشماخي: المصدر السابق، ص29.

([85]) ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص ص 108، 109.

([86]) الوسياني: المصدر السابق، ورقة 16، الرقيق القيرواني افريقية، ص 106 المالكي: ج1، ص262 ، عياض: المصدر السابق، ج1، ص619، الدرجيني: ج2، ص296، الشماخي: المصدر السابق، ص158، ابن عذارى: المصدر السابق ج 1، ص76، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص99، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج 1، ص79.

([87]) ابن حيون: افتتاح الدعوة،ص140.

([88]) الشماخي: المصدر السابق، ص82-83.

([89]) الشماخي: المصدر السابق، ص88.

([90]) اللبيدى: المصدر السابق، ص ص 20، 31، المالكي: المصدر السابق، ج 2 ، ص ص 139 ،291 الشماخي المصدر السابق، ص85. يقول ابن منظور" والعرب تقول للرائع الذي يلقط الشيء الحقير من الطعام فيأكله القَشَاسُ والرمّامُ وقد قَسَّ يَقُشُ قَشّاً والقَشُ أَكْلُ كِسَرِ السؤال والقش أكل ما على المزابل مما يُلْقِيه الناسُ "المصدر السابق، ج6، ص 336.

([91]) ففي افريقية الاغلبية مثلا ترد إشارة عن قاضي مدينة رقادة محمد بن عبد الله المعروف بابن جيمال(292هـ/904م) فتذكر أنه " باع نفسه في حداثته من تين أيام الشدة، ثم أثبت بعد ذلك حريته ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 140. ومن جبل نفوسة سئل الامام الرستمي افلح بن عبد الوهاب عن رجل باع " ابنته واخته من الجوع فاشتري بهما طعاماً ، نوازله مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 21582 ب ميكروفيلم 16952 ورقة 94 ويبدو ان تكرار المجاعات بهذه المنطقة قد زاد من طرح النوازل حول بيع الاحرار سنوات المسغبة، نموذج ذلك تلك النازلة التي تشير الي رجل اضطره الجهد الشديد الي بيع اخ له من الرضاعة" عبد الوهاب بن رستم المصدر السابق، ص 135، كما اشار التجاني الي عادة قديمة وظاهرة متواترة كانت جارية عند أهل منطقة زنزور – قرب طرابلس – حيث كانوا يضطرون أمام شدة المجاعات وقسوة الضرائب إلي عرض انفسهم واهليهم للبيع من الاغنياء " فيشتري أحدهم ونسائه وولده للجباية بما يتراضي مع صاحبه عليه ويجعل أداء في كل عام"، الرحلة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ،طرابلس ليبيا، (د.ت)، ص217 .

([92]) وهو ما وهو ما عبر عنه احد الشعراء حين استثنى ذويه من ممارسة التسول حال الفقر قائلا:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسال

انظر الابشيهي: المصدر السابق، ج 1، ص 482.

([93]) ابن عساكر: المصدر السابق، ج13،ص103.

([94]) النويرى: المصدر السابق، ج 29، تحقيق محمد ضياء الدين الريس، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992،ص225.

([95]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص385.

([96]) ابن الجوزى المنتظم، دار صادر، بيروت، 1358هـ، ج 10، ص 19

([97]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص 397.

([98]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص ص 135-136.

([99]) حيث ذكر ابنه ابو الطاهر انهم كانوا يبيتون الليالى دون ان يقتاتوا شيئا، وكان من داب الشيخ ان يردد هذه الابيات:

ان القنوع بحمد الله يمنعنى من التعرض للمنانة النكد

انى لاكرم وجهى ان اعرضه عند السؤال لغير الواحد الصمد

اللبيدى: المصدر السابق، ص 31، عياض: المصدر السابق، ج2، ص502.

([100]) صدرت فتاوى بعض أهل المذهب المالكي التي كرهت لأهل العلم الأخذ من الزكاة وان كانوا فقراء وحثتهم على التنزه عنها لما لهم بين الناس من "الفقه والجاه" . الونشريسي المصدر السابق، ج1، ص394.

([101]) نقلا عن الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص379

([102]) انظر محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص130، الشماخي: المصدر السابق، ص ، ص 260، 110.

([103]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص 373.

([104]) وصف الفقيه والزاهد يوسف بن مسرور الصيرفي(ت314هـ/926م) أولياء الأمور في زمانه بانهم ظلمة خائنين للأمانات. انظر المالكي:المصدر السابق، ج2، ص249. ثم تابع إشارات أخرى عن هذا التعدى عند ابن حيون المغربي: افتتاح الدعوة، ص ص 122-123، 139، المجالس والمسايرات، ص197، المالكي: المصدر السابق، ج 2 ، ص ص 56 ، 396، الونشريسى: المصدر السابق، ج1،ص387.

([105]) افرد القاضي الفاطمى ابن حيون المغربى الفصل العاشر من كتابه الهمة عن " ذكر ما يجب للائمة الصادقين اخذه من اموال المؤمنين والمؤمنات" وبدئه بالصدقات والتي أوجب دفعها إلى ولاة الأمور ولو شربوا الخمر واكلوا به لحم الخنزير" وأفتى بأن من خالف ذلك فهو ظالم معتدى جدير بشتى أنواع العقوبات الهمة في آداب إتباع الأئمة، القاهرة (د.ت)، ص68.

([106]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص395.

([107]) البرزلي: المصدر السابق، ج3، ص52.

([108]) المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص56، محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص ص 193 ،250.

([109]) الداعى ادريس: المصدر السابق،ص40.

([110]) ابن حيون: المجالس والمسايرات، ص197.

([111]) الحت المصادر على امتداح امانة الفقيه عبدالله بن حمود السلمى(ت357هـ/967م) الذي تولى احباس مدينة سوسة والذى شذ عن نظرائه حين صرفها في مواضعها ولم يتلبس منها بشى... ولم يضطر المساكين الى الغرم رافة بهم" مما يشى بان حالته تلك كانت استثناء .انظر عياض: المصدر "السابق، ج3، ص376

([112]) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص132.

([113]) ابن حيون: افتتاح الدعوة،ص39.

([114]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص385.

([115]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص373.

([116]) تتعلق الفتوى بفقيه افريقية الشهير سحنون بن سعيد، ابن بسام: المصدر السابق، ج3، ص68.

([117]) البرزلي: المصدر السابق، ج5،ص456.

([118]) المصدر السابق،، ص82.

([119]) عياض: المصدر السابق، ج2،ص376.

([120]) المجليدى: كتاب التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق: موسى لقبال،الجزائر، 1970،ص85.

([121]) النوادر والزيادات، ج 2، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الاسلامي،1999،، ص286.

([122]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص376.

([123]) البرزلي: المصدر السابق، ج5، ص117.

([124]) الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 378 – 379.

([125]) المصدر السابق، ص ص 162-164، الونشريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 364.، 382، ثم تابع فتاوى عن التصدق بالأموال التي يتورع اصحابها عن امتلاكها عند المالكي المصدر السابق، ج 2 ص ص 291-295 ، عياض: المصدر السابق، ج2، ص317.

([126]) المصدر السابق، ص ص 79-80.

([127]) المصدر السابق،ص102.

([128]) انظر فتواه عند ابن بسام: المصدر السابق، ج3،ص144.

([129]) وردت الفتوى عند البرزلي: المصدر السابق، ج 1، ص 490.

([130]) المصدر السابق، ص 149، البرزلي: المصدر السابق، ج4، ص499.

([131]) سورة الانعام: 141.

([132]) الداودي: المصدر السابق، ص ص 168-170، ثم تابع الفتوى نفسها عن القرطبي: المصدر السابق،ص22، وفتوى شبيهة لفقهاء المالكية المتقدمين عند الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص379.

([133]) اخبر ذو النون المصرى انه زار بلاد افريقية خلال فترة البحث فقابل زاهدا من أهلها أوصاه قائلا "لا تحب الدنيا و عد الفقر غنى و البلاء من الله نعمة والمنع من الله عطاء والوحدة مع الله أنسا والذل عزا والطاعة حرفة و التوكل معاشا والله تعالى لكل شديدة عدة. اعلم أن الزاهد في الدنيا قوته ما وجد ومسكنه حيث أدرك ولباسه ما ستر" انظر ابن الجوزى صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري و محمد رواس، دار المعرفة، بيروت، 1979 ، ج4، ص 338. ونقل السلمى قول أبي عبد الله القيروانى (ت 279هـ /892م) " الفقير المجرد من الدنيا وان لم يفعل شيئا من اعمال الفضائل ذرة منه افضل من هؤلاء المتعبدين المجتهدين ومعهم "الدنيا طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 194 . ودعى الزاهد ربيع بن سليمان القطان (ق (3هـ/9م) إخوانه إلى "البواء من الدنيا والتخلى منها . . والزهادة في الدنيا" الخشنى: المصدر السابق، ص234 ، وكان من دعاء الزاهد عبدالله الغيمي (ت316هـ / 928م) " اللهم لا تمتنى حتى ازهد في الدنيا واترك الدكان والعيال" المالكي: المصدر السابق، ج2، ص 190، وكان من وصية الزاهد ابو بكر الحذاء القيروانى (ق 4 هـ / 10م) لأحد مريديه "عليك بالفرار فى البرارى والقفار .. الق نفسك مع القدر حيث القاك " الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص 133. وجاء على لسان المؤرخ الافريقي الوراق : =

= زيد على الاقلال نفسى نزاهة ** وتأنس بالبلوى وتقوى على الفقر

انظر ابن الابار التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995، ج1، ص148، ثم تابع إشارات عمن تخلى عن ثروته كلها من اهل افريقية واختار حياة الفقر والجوع ،عند الخشنى: المصدر السابق، ص195، المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص278،، عياض: المصدر السابق، ج 3، ص369، الدرجيني: المصدر السابق، ص 360. ولمزيد من التفصيل انظر دراسة : غسان اسماعيل: جدلية الفقر والمعرفة في تجربة ابى يزيد البسطامي الصوفية المجلة الثقافية، الاردن، عدد 18 ، 1989 ، ص ص .84-76

([134]) انظر مثلا البناني: عقد الدرر و اللاليء في بيان فضل الفقر والفقراء وفضيلة السؤال، على هامش كتاب مدارج السلوك الى مالك الملوك لاحمد بن الرباطي، ط. مصر ، 1330هـ، : الدرقاوي: أدب السؤال والمرقعة وحقيقتهما وطرق القوم رضي الله عنهم، تحقيق بسام محمد بارود، المغرب، 1999م

([135]) منها على سبيل المثال ابو نصر السراج: اللمع، طالقاهرة، 1960، ص ص 252-265، الكلاباذي: التعرف لمذهب اهل التصوف، ضبط وتعليق احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص ص 112-118،114-120، الغزالى: المصدر السابق، ج4،ص ص 185-220، البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد إعراب ، المطبعة الملكية، الرباط 1993 ، ابن عجيبة : إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم مراجعة محمد احمد حسب الله ، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص ص 51-.416-391-410- 57. 375

([136]) (4) فقد استخدم بعض الصوفية ذل السؤال وسيلة للتخفيف من سيطرة النفس، واعتبروا أن اصل مشروعيته" قتل النفوس لا قبض الفلوس" لأنهم يمارسون السؤال على وجه العبودية لا على وجه "الاقتضاء" ابن عجيبة المصدر السابق، ص ص ،387، 413 415، ابن ليون التجيبي: الإنالة العملية من الرسالة العلمية في طريقة الفقراء المتجردين من الصوفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 738 تصوف، ورقة36، السراج: المصد السابق 253، حتى إن العادة جرت بان يأمر الشيخ المريد بالكدية والسؤال فى الأسواق إن وجد فيه شيئا من عزة النفس أو الكبر... الغزالي: المصدر السابق، ج 3، ص 61 .

([137]) الغزالي: المصدر السابق، ج4، ص210، القرطبي:المصدر السابق،ص 48.

([138]) نقل الجاحظ قولا لأحد الزهاد الخوارج يخبر فيه أن أمر الزهد والتصوف يقوم على أربعة خصال منها المسكنة والتي تعنى عنده أن يأكل الزاهد من "المسألة ومما طابت به أنفس الناس له، حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذى عليه غرمه ومأثمه" انظر كتابه الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، مصر، 1966، ج4، ص459.

([139]) البناني: المصدر السابق، ص 141 ، ابن عجيبة: المصدر السابق،ص413.

([140]) انظر تلك الشروط عند البناني: المصدر السابق،ص ص146-149.

([141]) السلمى: المصدر السابق، ص 278.

([142]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص134.

([143]) البناني: المصدر السابق، ص 143.

([144]) عن شيوع مصطلح الصوفية في افريقية خلال فترة البحث انظر اللبيدى: المصدر السابق، ص ص 91، 106، ابن الابار: الحلة السيراء،ج1،ص 302، الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص ص 108 101 ، ثم تابع دراسة محمد الهادي الغزى إرهاصات الحركة الصوفية في القيروان، الحياة الثقافية، ع.100-98 (2000) 112. - ص.

([145]) تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ج14، ص 424.

([146]) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج4،ص 337.

([147]) المصدر السابق، ج 2 ، ص ص 17، 18، 33، 266 ،262، 139، ثم تابع اشارة عند الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص121.

([148]) اللبيدى المصدر السابق، ص 48، البادسي: المصدر السابق، ص ص 22-23، ثم تابع اشارة شبيهة عند القرطبي: المصدر السابق،ص28.

([149]) تتوفر بخصوص ذلك إشارات تند عن الحصر في مصادر الفترة، منها على سبيل المثال: المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص ص16-18، 31-33، 102، 116، 135، 139 ، 176، 187، 196، 206، 212، 222 ، 234 ، 237 ، ،252، 261، 267، 381 ، عياض: المصدر السابق، ج 2، ص 97 ، الدباغ : المصدر السابق، ج 2، ص ص 111، 115، مجهول : : الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، ط. الدار البيضاء، 1985، ص 120.

([150]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص260.

([151]) البناني: المصدر السابق،ص146.

([152]) المقرى: المصدر السابق، ج1،ص220.

([153]) السلفى: معجم السفر، تحقيق: عبدالله البارودى، مكة المكرمة،(د.ت)،ص159.

([154])الغزالي: المصدر السابق، ج2، ص249.

([155]) المقدسي: المصدر السابق، ص41.

([156]) اليوسى: المحاضرات في اللغة والادب والتاريخ ، تحقيق: محمد حجى واحمد الشرقاوى، دار الغرب الاسلامى، ط2 2006، ص ص .327-316

([157]) منهم على سبيل المثال الصوفى محرز بن خلف الذي كان ينصح أتباعه بقوله: "الفقير الذى عن الحرام يطير وهو فى فقره أمير ..كل من كد يمينك واسلت عرق جبينك ولا تأكل بدينك...كل من عشب الأرض.. ولا تأخذ من صدقة ولا قرض" اللبيدى: المصدر السابق،ص114.ثم تابع تشديد فقهاء القيروان على أهل رباط المنستير الأكل من أموال الصدقات عند البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص 490.

([158]) الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص118.

([159]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص ص 159-160.

([160]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص166.

([161]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص323.

([162]) ابن حيون المغربي: المجالس والمسايرات، ص83

([163]) المالكي: المصدر السابق ج 1، ص 380، عياض: المصدر السابق، ج2، ص 201.

([164]) الونشريسي: المصدر السابق ج1، ص386.

([165]) المالكي: المصدر السابق ،ج2، صص201، 275. ولاحظ كيف وصف المقدسي المغرب بانه اقليم "كثير المجذومين".المصدر السابق،ص236.

([166]) المالكي: المصدر السابق ،ج2، ص 51، المجليدى: المصدر السابق، ص65.

([167]) ابن حيون المغربي: المجالس والمسايرات، ص83.

([168]) المالكي: المصدر السابق ج 1، ص 526، ج 2، ص248 ، الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص366.

([169]) ابو العرب تميم: المصدر السابق ص146، الدرجيني: المصدر السابق، ص307 ، الشماخي: المصدر السابق، ص82.

([170]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص237، عياض: المصدر السابق، ج 1، ص 63، ج2، ص202، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص164.

([171]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص237، الشماخي المصدر السابق،ص116، الونشريسي: المصدر السابق،ج1،ص396.

([172]) ابن ابي زيد: المصدر السابق، ج2، ص293.

([173]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1،ص392.

([174]) الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 318 ، الشماخي : المصدر السابق ص ص122،121.

([175]) الشماخي المصدر السابق، ص 83، المجليدى: المصدر السابق،ص47.

([176]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1،ص385.

([177]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص366.

([178]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص148.

([179]) الثعالبي : التمثيل والمحاضرة، ،ص200.

([180]) ابن الجوزي: المنتظم، ج 8، ص 69 ، الذهبي : المصدر السابق، ج5، ص19.

([181]) المقدسي: المصدر السابق، ص 429.

([182]) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955.ص24

([183]) البرزلي: المصدر السابق، ج1،ص359.

([184]) ابن كثير : المصدر السابق، ج 11، ص 146، الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص270.

([185]) ابن بسام المصدر السابق، ج10،ص282.

([186]) المغيلي الماذونى: المصدر السابق، ج2، ورقة 154.

([187]) الوسياني: المصدر السابق، ورقة 123 ، الماذوني المصدر السابق، ج2، ورقة 154، ابو العرب تميم: المصدر السابق،ص142،المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 136، 313، 526، عياض: المصدر السابق، ج 1، ص 335، الدرجيني: المصدر السابق ،ج2، ص404، المقرى: المصدر السابق، ج5،ص262.

([188]) الخشنى: المصدر السابق،ص244.

([189]) الدرجينى: المصدر السابق، ص404.

([190]) ابن بسام: المصدر السابق، ج4، ص87.

([191]) البغدادي: المصدر السابق، ج 14، ص424، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 239، ج2، ص262، ابن الجوزي: المنتظم، ج8،ص215.

([192]) نظر بخصوص ذلك الدرجيني: المصدر السابق، ج2،ص ص 363، 418.

([193]) المصدر السابق، ج2، ص145.

([194]) المصدر السابق، ص 187.

([195]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص372.

([196]) المقرى: المصدر السابق، ج7، ص273

([197]) المقرى المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

([198]) اليوسى: المصدر السابق ، ص .320

([199]) المصدر السابق، ج2، ص382.

([200]) ابن عبد الرؤوف المصدر السابق ،ص113 ، المجليدى: المصدر السابق، ص65.

([201]) ابو العرب تميم: المصدر السابق، ص 131 ، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص ،137 ، عياض المصدر السابق، ج1، ص 334.

([202]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص242.

([203]) المصدر السابق، ج1، ص628.

([204]) المصدر السابق، ج2، ص224.

([205]) الدرجيني: المصدر السابق ص 408.

([206]) المصدر السابق، ج 3 ، ص 122

([207]) المجليدى: المصدر السابق، ص 81.

([208]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص243.

([209]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص144.

([210]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص 360.

([211]) ابن بسام: المصدر السابق، ج 3 ، ص 144، حيث نقل ذلك عن ابن و بن عمر وغيرهما.

([212]) الغزالي: المصدر السابق، ج1، ص225.

([213]) من ذلك قولهم "اذا بليت بالسعى اقصد الديار الكبار " ابن عاصم: حدائق الازاهر، تحقيق: عبد اللطيف عبد الحليم، بيروت، 1992، ص294.

([214]) فقد روى ابن حبان عن ابى حاتم قوله ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم لا في المحافل والمساجد والملأ لأن محمد بن محمود النسائي حدثنا قال حدثنا علي بن خشرم حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عنه لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشوهم ولكن سلوهم في منازلهم فمن أعطى أعطى ومن منع منع، ابن حبان البستى: المصدر السابق، ص 248.

([215]) المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 122، المقرى: المصدر السابق، ج3، ص7.

([216]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص332.

([217]) الخشنى: المصدر السابق، ص.188

([218]) عياض: المصدر السابق، ج3، ص361.
([219]) الشماخي المصدر السابق، ص 230
([220]) المصدر السابق، ج2، ص365.
([221]) الشماخي المصدر السابق، ص 268.
([222]) اللبيدى: المصدر السابق،ص20.
([223]) الشماخي المصدر السابق، ص 3
([224]) الشماخي: المصدر السابق ص332.
([225]) الشماخي: المصدر السابق، ص282.
([226]) ابن الآبار المصدر السابق، ج2، ص 309.
([227]) وكيع اخبار القضاة، أخبار القضاة صححه و علق عليه و خرج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى،بمصر ، 1947م، ج2، ص 315.
([228]) الجناوني: كتاب النكاح، تقديم وتعليق على يحيى معمر، ط. طرابلس الغرب، 1976،ص203.
([229]) ابن طولون : فص الخواتم فيما قيل في الولائم ، تحقيق نزار اباظة، دار الفكر، 1983،ص70.
([230]) الابشيهي: المصدر السابق، ج1،ص404.
([231]) المالكي: المصدر السابق، ج1،ص244.
([232]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص262، عياض: المصدر السابق، ج1، ص619.
([233]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص144.
([234]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص200.
([235]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص201.
([236]) المجليدى: المصدر السابق، ص ص 70-71.
([237]) الوسياني: المصدر السابق، ورقة 35.
([238]) المصدر السابق،ص322.
([239]) المصدر السابق، ص 149.
([240]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص397.
([241]) الونشريسي المصدر السابق، ج 1، ص 381، ج 9، ص 184.
([242]) ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص32.
([243]) الشماخي: المصدر السابق، ص118.
([244]) الشماخي: المصدر السابق، ص220.
([245]) الشماخي: المصدر السابق، ص 227.
([246]) الشماخي: المصدر السابق، ص 227
([247]) الوسياني: المصدر السابق، ورقة 35.
([248]) الشماخي: المصدر السابق، ص333.
([249]) الشماخي: المصدر السابق، ص 177.
([250]) الوسياني: السير، ج 1، ص 252.
([251]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص202.
([252]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص502
([253]) المالكي: ج 1، ص 239.
([254]) ابن بسام: المصدر السابق، ج3، ص157.
([255]) ابن ابي زيد القيروانى: المصدر السابق، ج2،ص314.

([256]) الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص 385.

([257]) مجهول الاستبصار، ص .154. ذكر البكرى أن حصيلة ما كان يذبح من البقر بالقيروان وحدها في يوم عاشوراء كان "تسع مائة وخمسين راسا"المصدر السابق، ص26.

([258]) عياض: المصدر السابق، ج1،ص451.

([259]) المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص ص 237-238.

([260]) ابو العرب: المصدر السابق،ص142.

([261]) عياض المصدر السابق، ج 1، ص 63، الدباغ: ج2 ، ص ص75-76.

([262]) الخشنى: المصدر السابق، ص187، عياض: المصدر السابق، ج2 ، ص ص 202 203 والاية من سورة الانسان :رقم 9.

([263]) عياض: المصدر السابق، ج 3، ص ص 201-202.

([264]) المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 128

([265]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص 145.

([266]) الثعالبي فقه اللغة واسرار العربية، ضبط وتقديم وتعليق ياسين الايوبي، المكتبة العصرية، بيروت ،ط2 2000، ص 439.

([267]) ابن عساكر: المصدر السابق، ج38، ص351.

([268]) يبدو أنها كانت جملا وألفاظا تتسم بالعمومية المكانية فى العالم الاسلامى حيث ورد في المصادر عبارات مثل كلام المكدين ومناغاة الشحاذين" التوحيدى : اخلاق الوزيرين مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد، تحقيق محمد بن تاويت دار صادر، بيروت، 1992، ص 185، "الفاظ المكدين" ياقوت الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980، ج9،ص207، و"لغات الخلديين والمكدين ابن ابى الدنيا: قرى الضيف، تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور الرياض ، ج 1 ، 1997، ج 3، ص 35.

([269]) الوسياني: المصدر السابق، ورقة 123.

([270]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص243.

([271]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص144.

([272])المالكي: المصدر السابق، ج1،ص526.

([273])الصفدي: المصدر السابق، ج4،ص 124،187.

([274])ابن كثير : المصدر السابق، ج11، ص130.

([275])الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص292

([276])المقرى: المصدر السابق، ج2، ص17.

([277])القرطبي: المصدر السابق، ص21.

([278])ابن كثير : المصدر السابق، ج11،ص339.

([279])ابن ليون التجيبي: المصدر السابق، ورقة 42، البناني: المصدر السابق،ص149، ابن عجيبة:المصدر السابق،ص416.

([280])اليوسى : المصدر السابق، ص 319.

([281])المقرى: المصدر السابق، ج5، ص326.

([282])اليوسى: المصدر السابق،ص 317.

([283])الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص ص 60 - 61

([284])الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص129..

([285])البرصان، ص ص 365-366، وكذا كتابه البخلاء، تحقيق: طه الحاجرى، سلسلة ذخائر العرب، رقم 23، دار المعارف، القاهرة،(د.ت)،ص ص.66-46

([286]) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص 113.

([287]) البخلاء، ص ص 52-53.

([288]) كشفت كتب الحسبة المغربية والاندلسية عن هذه الطوائف حين شددت على ضرورة تفقد المحتسب الذين يتخبطون في الأسواق ويوهمون الناس انه صرع ويستخبر ذلك منهم وكذلك أصحاب الأورام والقروح البشيعة، ومن يتعلق مصرانه من جنبه والذى يصيح بوجع الحصا، والذى يظهر انه مقعد، والذين يقرحون أيديهم ويوهمون الناس أن ذلك كله بلاء نزل بهم وهم يكذبون وذلك كله منهم حيلة لأخذ اموال الناس بالباطل" ابن عبد

الرؤوف : المصدر السابق، ص 113. كما جعلت من ولاية صاحب السوق منع من يتكسبون بالكهانة ومن قوى للعمل. . من اخذ الصدقة" الونشريسي: الولايات، تحقيق: يحي حمزة ، (د.م) 2002م، ص136.

([289]) انظر بخصوص ذلك عياض: المصدر السابق، ج2، ص203 ، السلمى: المصدر السابق، ص51، اليوسى: المصدر السابق، ص ص 317-319، ،ابن عجيبة: المصدر الاسابق،ص416.

([290]) الدرجيني: المصدر السابق، ص342.

([291]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص79.

([292]) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص169.

([293]) عياض: المصدر السابق، ج3، ص372.

([294]) ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص86.

([295]) الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص30.

([296]) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص328.

([297]) عياض: المصدر السابق، ج2، ص250.

([298])المالكي: المصدر السابق، ج2، ص148.

([299])المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص106.

([300])عياض: المصدر السابق، ج2، ص337.

([301])الشماخي: المصدر السابق، ص 371. .

([302])عياض: المصدر السابق، ج2، ص110

([303])المالكي: ج 2، ص 144

([304])المالكي: المصدر السابق، ج1، ص76.

([305])الشماخي: المصدر السابق، ص114.

([306])الشماخي: المصدر السابق، ص394.

([307])عياض: المصدر السابق، ج2، ص200.

([308])المصدر السابق، ج 1، ص125

([309])عياض: المصدر السابق، ج2، ص372.

([310])عياض: المصدر السابق، ج1، ص619.

([311])البرزلي: المصدر السابق، ج5،ص126

([312])عياض: المصدر السابق، ج 1، ص621.

([313])المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص244 ، عياض: المصدر السابق، ج2، ص8.

([314])الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص161.

([315])الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص360

([316])الشماخي: المصدر السابق، ص 123.

([317])الشماخي: المصدر السابق، ص332-233.

([318])ا الشماخي: المصدر السابق، ص356.

([319])لمالكي: المصدر السابق، ج1، ص313.

([320])الشماخي: المصدر السابق، ص87.

([321])الشماخي: المصدر السابق، ص83.

([322])الدباغ: المصدر السابق، ج3،ص 141.

([323])المصدر السابق، ص333

([324])عياض: المصدر السابق، ج2، ص ص 113-114.

([325])كان مما شاع في تلك الفترة القول بانه "لو اطعنا المساكين في أموالنا لكنا اسوأ حالا منهم انظر الصفدى: المصدر السابق، ج16،ص307.

([326])عياض: المصدر السابق، ج1،ص485.

([327])المالكي: المصدر السابق، ج1،ص264، عياض: المصدر السابق، ج 1،ص594، الشماخى:ص277.

([328])الونشريسي: المعيار، ج 1، ص386.

([329])القرطبي: المصدر السابق،ص 75.

([330])البناني: المصدر السابق،ص146.

([331])الغزالي: المصدر السابق، ج3، ص223.

([332]) منها على سبيل المثال" اذا ابتليت بالسعى قصد الديار الكبار"، وقولهم"اخدم باطل ولا تجلس "عاطل" وقولهم"انصف الناس وشاركهم في اموالهم ابن عاصم الغرناطي المصدر السابق ص ص 294 ، 308 ، وقولهم "اذا اطعنا السؤال صرنا مثلهم" الصفدي: المصدر السابق، ج16، ص307، وقولهم بكل عشب آثار رعى" كناية عن اجتماع السؤال لاصطياد الأموال الميداني مجمع الأمثال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 ، ص 67 ، وقولهم "كدحك أى كسبك" يضرب فى ذم السؤال . الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب،دار الكتب العلمية – بيروت، 1987، ج2، ص 415

([333]) انظر نماذج لذلك عند المالكي: المصدر السابق ج2، ص365، المقرى: المصدر السابق، ج4، ص127.

([334]) المصدر السابق، ج2،ص202.

([335]) المصدر السابق، ص ص 121، 122، 393.

([336]) عياض: المصدر السابق، ج2،ص360.

([337]) المالكي: المصدر السابق ج2،ص365

([338]) المصدر السابق، ص 292.

([339]) المصدر السابق،ص166.

([340])يؤكد كتاب السياسة أن من أهم واجبات السلطة "بذل الصدقات المتواترة والبر بالفقراء "الطوسي: سياسة نامة، ترجمة السيد محمد العزاوي بغداد ، 1975، ص 34.

([341])المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 318، الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص ص 116، 148، ابـن عـذارى: المصـدر السابق، ج 1، ص 112 ، النويرى: المصدر السابق، ج24، ص 124-125.

([342])ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص 109.

([343]) المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 369

([344]) ابن عذاري المصدر السابق ج1، ص132.

([345]) ابن حيون افتتاح الدعوة، ص 119

([346])السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1371،ص379.

([347])المقريزي: المقفى، ج6، ص178.

([348])الداعى ادريس: المصدر السابق، ص194، المقريزى: المصدر السابق، ج2،ص130.

([349])الذهبي : المصدر السابق، ج15، ص161.

([350])المصدر السابق، ص 317.

([351])ابن كثير : المصدر السابق، ج 12، ص173

([352])الذهبي : المصدر السابق، ج15،ص99.

([353])الذهبي : المصدر السابق، ج13،ص293

([354])ابن الجوزي: المنتظم، ج9،ص167.

([355])اللبيدى: المصدر السابق، ص36، فقد كان يطلق على السؤال اسم الزوار انظر الصفدي: المصدر السابق ج 13، ص 149-150، ج22، ص222، ج27، ص 273.

([356])وهي ظاهرة عامة ارتبطت بمجموع السؤال فى العالم الاسلامي، فعلى سبيل المثال: اشفق الامير احمد بن طولون على سائل مر امام قصره "في ثوب خلق وحال سيئة ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، تحقيق: زكى محمد حسن واخرون، سلسلة الذخائر ، رقم 89، 2003م، ص100، وشاهد ابراهيم الاجرى ببغداد سائلا على باب احد المساجد و عليه خرقتان" : المصدر السابق، ج6، ص211 ، وفي ترجمته لاحمد بن عمر الفارسي (ت803هـ / 1400م) ذكر الحنبلى انه افتقر في اخر ايامه ومارس التسول وصار زرى الملبس والهيئة شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير ، 1406، ج 7، ص25.

([357]) الرازي: اخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله واخيه ادريس بن عبدالله، تحقيق: ماهر جرار،دار الغرب الاسلامى، 1995، ص ص 172-173.

([358])المصدر السابق، ج13، ص 293

([359])القرطبي: المصدر السابق، ص75. وترد في هذا السياق اشارة ابن عاصم التي ذكر فيها ان رجلا قال لاحد المكدين أتبيع مرقعتك؟قال ارايت صائدا يبيع شبكته" المصدر السابق، ص 83.

([360])المصدر السابق،ص277

([361])عياض: المصدر السابق، ج2،ص 200

([362])عياض: المصدر السابق، ج2، ص 199

([363]) المالكي ، المصدر السابق، ج2، ص ص 147-148

([364]) الحريري : شرح المقامات ، دار التراث ، بيروت، 1968م، ص ص 150-160.